مجلة البيان – العدد 22 ، ربيع الأول 1410هـ / أكتوبر 1989م

الافتتاحية

التكلف قيود وأغلال

من صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم- التواضع والبعد عن التكلف ، وقد انطبعت رسالة الإسلام بهذا الخلق الذي هو انعكاس للفطرة السليمة . وليس أضر على الدعوة الإسلامية من التقيد بالرسوم والأشكال التي تعتبر حاجزاً بين كلمة الحق ووصولها إلى الناس.

والذي يدرس حركة انتشار الإسلام في العالم سيظفر بهذه السمة تميز سلوك المسلمين الأوائل بوضوح وجلاء ، فقد حملوا هذه الدعوة بحرارة وقوة ، هي صفة الإيمان العميق ، وببساطة وعفوية هي ميزة الخلق البعيد عن التعقيد ، وصفة النفوس الجادة التي لا تنشغل بالترف - بكل أشكاله - عن الحقائق.

إن الجنس العربي الذي حمل عبء الدعوة إلى الله قد اختاره الله لأسباب كثيرة يعلم الناس منها ويجهلون ، ومن هذه الأسباب أنه جنس فطري لم يتلوث بأمراض المدنيات التي أفسدها الإنسان بغروره وجهله بنفسه ، ولم تقتل حيويته الفلسفات الجامدة والرسوم المتكلفة التي قيدت كثيراً من البشر وتحكمت فيهم. ولذلك لم يكن يعبأ المسلمون الأوائل بكثير مما تواطأ الناس عليه من عادات ومراسم حين كانوا يجدونها تخالف ما أمرهم الله ورسوله به ، ولم يكترثوا بتحليل الناس وتحريمهم إذا لم يكن لذلك برهان ودليل مما أنزله الله أو قرره رسوله. وليست هذه الكلمة مخصصة لإبراز خصائص الجنس العربي؛ ولكن الغرض منها هو التنويه بهذا الخلق الأصيل وهو البعد عن التكلف في الأمور كلها. لقد ابتعد المسلمون شيئاً فشيئاً عن فهم الإسلام ، ودبت فيهم أمراض اجتماعية وثقافية كثيرة ، ومنها تأثرهم بما وفد عليهم من أفكار غيرهم من الأمم. وهذا هو الواقع الذي كان ومازال ، والذي ينبغي أن لا ينكر أو يجادل فيه ، لقد تراكمت مؤثرات أجنبية وأساليب غريبة لا علاقة لها بالإسلام، وليست من روحه أو من أصوله ، فحالت بين المسلمين وبين التفاعل مع الحياة بما يمليه عليهم الصحيح من أصول دينهم ، وأصبح المسلمون يحاربون في جبهات ثلاث:

جبهة أعداء الإسلام الخارجيين.

وجبهة أعدائه الداخليين.

وجبهة الأفكار الدخيلة التي اعتنقها المسلمون بحسن نية.

وقد تكون هذه الأخيرة أشد الجبهات.

إذا رجعنا إلى هدي النبي فإنـنـا نـجـد أن سيرته -صلى الله عليه وسلم- كانت حرباً على التكلف حـيـثـمـا كـان وفـى أي صـورة وجـد، الـتـكـلـف في الأقوال والأفعال، والتكلف في المعـيـشـة، فـقـد ذم الـرسـول الكـريـم-صلـى الله عـليه وسلم- الثرثارين، والمتفيهقين وذم التنطع، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ويـنـهى أن يسلك معه في توقيره وإطرائه مبالغات الأعاجم، ولم يكن يتميز عن أصحابه بلباس أو شارة ، وكان طبعه أن يشارك أهل بيته أعمالهم ، ويشارك أصحابه نشاطاتهم ، ولم يكن الدين عنده مظهراً وهنداماً لا يصح الإخلال به؛ بل حقيقة قلبية ، وسلوكية نابعة من ذلك تفيض خيراً لمصلحة الجماعة.

ما الذي نحتاجه اليوم في حياتنا الحاضرة من ذلك؟.

إننا نحتاج إلى عـزمـة صـادقـة نـصـارح بها أنـفـسنا لنرى حيثما التفتنا حولنا أكداساً من الأعراف الـثـقـيـلـة التي تراكمت على الصورة الصحيحة للإسـلام، هـذه الأعـراف الـتـي اختلطت بالعـقـائـد والأخـلاق الإسـلامـيـة حـتى أصبح من الصعب على كثير من المسلمين التمييز بين ال0أصيل والدخيل ، والضروري وغيره.

إن كثيراً من هذه الرسوم والأشكال جاء عن طريق المدنـيـات الوثـنـيـة ، وتبناه المسلمون في فترات مـتعاقـبة ، فأعاقهم عن النهوض وعمل على شل حركتهم ، وأوضح مثال على ذلك الـدولـة العثمانية ، فقد ورثت هذه الدولة من الأعراف الجامدة والشكليات المكبلة - سواء من الإمبراطوريـة الـبـيـزنـطـيـة المغلوبة ، أو من الشعوب الكثيرة التي انضوت تحت حكم العثمانيين - ما أثر في بقائها ، وساعد على ضعفها فيما بعد ، ثم على انتهائها.

ونحن إذ نذكر ذلك نذكره لاستـنـباط الدرس الذي يفيد في الدعوة الإسلاميـة ، فلن تنجح هذه الدعوة إلا بمنهج يشكل نبذ التكلف أحد أعمدته الرئيسية ، اقتداء بـسيـرة محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- ، التكلف الذي يقيد العمل ، ويهمل الـجـوهر ، ويلتفت إلى ما لا ينفع، إما لسهولته، وإما لسهولة خداع الناس واسـتـرضـائـهـم بـواسطـتـه، هذا التكلف المقيت الذي يهدر طاقات الأمة فيما لا يجدي ولا يثمر غير الخـيـبـة والـغـفـلـة ، التكلف الذي يجعل أمة تنفق الألوف المؤلفة على الجوانب التافهة ، وتقتر إلى أبعد حدود التقتير على الجوانب المهمة.

إن الأمم التي تبنى المسارح والمسابح ومدن الملاهي ، وتستورد الفرق الفنية من كل جهات الأرض من جهة ، وتهمل التفكير الجدي في حل معضلة إطعام شعوبها حتى لا تلجأ إلـى استجداء البنك الدولي والدول الغنية من جهة ثانية؟ لهي أمم غارقـة في بـحـار الـتـكـلـف مكبلة بأغلاله ، وهى حين تخسر الملايين على مثل هذه الترهات التي تشغل شعوبـها بها لا تخسر مالها ومدخراتها

فقط؛ بل تخسر شعوبها وكرامـتـهـا، ولا يـبـقـى لـهـا من شيء تفتخر به إلا الأكاذيب التي لن يصدقها أحد.
لا مخرج لنا، ولا أمل في تحسن الحال ما لم ننفض عنا أردية التـكـلـف، وأثـواب الزور، وأن نصـدق مـع الله ثـم نكـون صادقـيـن مع أنـفـسـنا فنبحث عن عللنا ونعترف بها، وإلا فالبديل عن ذلك هو الفضيحة.
ألم يشر النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- إلى ذلـك بقـولـه: »المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور«؟!.
ونختم ما نحن فيه بما علقه الشيخ محمد حامد الفقي في كـتـاب (اقتضاء الصراط المستقيم) ص 150 ، من كلمة حق مشرقة ، حيث قال:
(.. والحق الذي لاشك فيه: أن الشيطان ما ركب إلى الأمة الإسـلامـيـة لإفسادها إلا مطايا منافقي العجم ، من فرسٍ، وهند ، وروم ، حتى أكبهم على وجوههم فيما هم فيه اليوم ، من انحلال ووهن ، في العقول والقلوب ، والاختلاف في العقائد ، والتفكير ، والأعمال. ولا صلاح لهم؛ ولا علاج مما هم فيه إلا بأن يعودوا عربا في لسانهم،وتفكيرهم،وأخلاقهم، ليفقهوا القرآن ، ويعرفوا هداية الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فيكونوا بها مـسـلـمـيـن يستحقون أفي يحقق الله لهم ما وعد المسلمين الصادقين).

جلسة فكرية

عبد القادر حامد

دار نقاش بيني وبين أحد الأصدقاء المعنيين بالثقافة والأدب وبالأوقات التي تمر بها الأمم بازدهار فكـري ، أو بجمود وسكون؛ وأسباب ذلك ، وما الأمور التي تؤدي بالأمة والجو الذي يلفها إلى إحدى النتيجتين فقال:
لم يحـدث أن نهضت أمة نهضة فكرية دون تعاون واشتراك بين جهتين: بين القادة وبين الشعوب . وإن شئت الدقة فقل: بين القادة السياسيين وبين القادة الفكريين. وكل الظواهر التي يشمـل خيرها أمة بعينها؛ فينقلها من الجهل إلى العلم ، ومن التخلف والجمود؛ إلى الـتـقـدم والحركة هي نتيجة هذا التعاون. ومتى انفك هذا التحالف والاتفاق الضمني بين هاتين الجهتين فهذا نذير الضعف والتحلل ، أو الفوضى وعدم الاستقرار.
قلت: إذن أنت تـرى أن الأفــراد لا يستطيعون أن يقوموا بهذه المهمة بمعزل عن تحالفهم مع القادة؛ فماذا تقول فـي الآثــار الـتـي تركها مفكرون ومصلحون عبر القرون لم يرتبطوا بقيادة تحالفوا معها لينجزوا ما أنجزوا ، بـل منهم من كان في أماكن لم توجد فيها سلطة أبداً ، ولكنهم خلفوا آراء أحدثت تحولاً عجيباً فيمن جاء بعدهم؟.

قال: إن الأفكار العظيمة قد تنتقل من عصر إلـى عصر ، مثلها مثل البذور التي تدخر من وقت لآخر ، أو تجلب من بلد إلى آخر.. لكن هــذه الأفكار لا تعمل وحدها ، بل لابد لها من حملةٍ يحملونها عن إيمان بها واقتناع ، ولكي تعـطـي أثـراً ذا بــال لابد أن يتوفر لها المحيط الذي تتفاعل معه. أما إن كبتت وحيل بينها وبين الناس بـشـتـى الطرق؛ فمن أين لهــا أن يجتمع الناس عليها ، وتحدث ما يرتجى منها؟! نعم؛ إنها لا تمـوت ، ولـكــن تأثيرها مؤجل إلى أن تحين ساعة إطلاق سراحها.

قلت: هل تعنى أنه لابد من قوة مـاديـة تـقـسر الناس على اتباع فكرة ما قسراً ، وتكرههم على قبول وجهة نظر واحدة ، وتحارب ما عـداهـا حـربـاً لا هـوادة فـيـهـا؟ إذن وقعنا في الاستبداد المؤدي إلى الطغيان وهدر الحقوق ، الذي يشل الشعوب ويـقـتـل فـيـهـا الحيـوية ويزرع فيها اليأس والهزيمة.

قال: كأنـي بـك تـنـظـر إلى أمـثلة تراها ماثلة أمامك؛ بأخبارها ومعاناة ناسها وتخشى أن يهدم طغيان ببناء طغيان آخر بديل..

لا تنسَ أن هذه الأمم طبقت علـيهـا مبادئ ليس بينها وبينها صلة ، وليست وليدة التدرج الطبيعي لنضج الأفكار الصحيحـة ، وإنما هي نزوات متطرفة في رؤوس حفنة من أصحاب الأهواء ، فرضتها عوامل عديدة ، وهى من حيث المبدأ تخالف الفطرة البشرية ، وتخالف طبيعة الناس الذين طبقت عليهم ، وتخالف أصل النظريات التي اشتقت منها.

والأمر مختلف بالنسبة للإسلام، فأنت لست بحاجة إلى قهر الناس لقبوله، لأن له رصيداً غنياً في الـفـطـرة الـبـشـريـة، ومـن جـهـة ثـانـيـة فـإن جذوره عميقة في تربة المجتمعات الإسلامية، إنه الحق الذي لا يحتاج إلى من يشق له الـطـريـق ويـبـين محاسنه للناس، بل إلى الذي يرفع العوائق الاصطناعية ، والسدود التي يـتـعـمـد وضعها أمامه أعداء الحق من كل مـلـة، وفى كل عـصـر. وهـو -في الـوقـت نفـسـه - ليس بحاجة إلى التفنن في اختراع أساليب دعاية شيطانية لنقنع الناس به سيراً على مـبـدأ:"الـغـاية تبرر الوسيلة" ، ولا إلى استيراد طرق تعذيب وحشية فاشية أو نازية أو شيوعية حتى نكبح جماح معارضيه.

قلت: هل يعني ما قدمت أنك في شك من أن في حياة الأمم لحظـات مـصيرية ، ومنعطفات حادة ، ولحظات تغيير شامل ، ينظر إليها دعاة التغيير ، فتجري في أحـاديـثهم ، وعلى أقلامهم ، فيعبرون عنها "بالثورة" ، وتارة "بالانقلاب"؟. قال: أما إنه هناك مـنـعـطـفـات حـادة ولـحـظـات مـصـيـريـة في حياة الأمم فنعم، وأما أن هناك شيء يصح أن يطلق عليه و صف "انقلاب" بالمعنى اللغوي الدقيق للكلمة؛ فلا.

والخلل يحصل من أن سطحية الأفـكـار؛ وسطحية كثير ممن ينشدون التغيير والتجديد في المجتمعات تنعكس سطحية في استعمال اللغة فيحدث خلط وتشويش ، وتضيع الحقيقة في زحمة الخلط والتشويش.
فكلمة انقلاب تعنى - من حيث مدلولهـا اللغوي - أن الأوضاع انقلبت رأساً على عقب ، وأن كل شيء انعكس إلى ضده ، وأن هذا الانعكاس والتغيير حصل في فترة قصيرة جداً قد تكون نتيجة حركة عسكرية أو أهلية: نـقـول هـذا لأن الـكـلـمة من حيث الوضع تستعمل لوصف واقع مادي ، ثم استعيرت لتعبر عن واقع معنوي أو ثقافي. ولكن ، هل "الانقلاب" يحدث هكذا ، فجأة ، ودون مقدمات تمهد إليه ، وهل يغير كل شيء في المجتمع بضربة واحدة؟ وبعبارة أخرى: هل التغيير الذي يحصل في مجتمع ما يحصل بخبطة واحدة دون أسباب ونتائج سابقة مترابطة؟.
إن الواقع المشاهد لا يقول بهذا ، بل يقـر أن الحـوادث الـتـاريـخـيـة -مهما كانت آثارها بعيدة الأثر وعميقة التأثير - ليست إلا حلقات في سلسلة مترابطة، وأن شهرتها وانطباعها في ذاكرة مجموعة من الناس راجع إلى أن الإنسان عندما يذهب لإعادة تـركـيـب حـلـقـات التاريخ من أجل فهمها، وانـتـزاع الـقـوانـيـن والـعـبر منها؛ إنما يحاول أن يركب حلقات الماضي كما يحب أن يجدها هو.
ولا شك أن ماضي الأمة كماضي الفرد ، فيه لحـظـات سعادة ، ولحظات شقاء ، والإنسان بطبعه لا يحب إلا تذكر لحظات السعادة ، وتجاهل غيرها ، لأنه لا يحب أن يتذوق طعم الشقاء مرتين، فتراه عندما يبني تاريخه لا يحب أن يستوقفه منه إلا ما يرفع الرأس، وقد يضرب صفحا عما دون ذلك . لكن فئة قليلة جداً هي التي تعيد تركيب التاريخ بـأسـلـوب أقرب إلى المنطق العلمي وتحاول جاهدة - بسعة علمها ، وصبرها ، وبعدها عن الـهـوى - رؤية جميع حلقاته - حلوها ومرها ، نقول: تحاول ، عن قـنـاعـة بأن الحياد والـتـعـقـل والموضوعية الباردة لا تتوفر كاملة في دراسة التاريخ ، مهما ادعى المدعون ، ولكن قدراً من ذلك - تنتج عنه النتائج الصحيحة والمقبولة - ممكن ، وهو الـقـدر الـذي طـالـب الله بـه عباده بقوله: ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) [الروم:9]. أما الدهماء فغير قادرين إلا عـلـى رؤيـة وتذكر ما يعتبرونه مهماً من الحوادث ولذلك؛ حينما يديرون مثل هذه الكـلـمات: ثـورة ، انقلاب.. على ألسنتهم؛ يوقعهم نظرهم القاصر في نتائج خطيرة هـي مـعـالـم بـارزة في كل مجتمع عاجز.
فمن ذلك:
ينظرون إلى التاريخ على أنه قفزات وفرص؛ لا مجال يخضع لقانون السببية.

* تـتـحـول الـنـظـرة إلى الـمـجـتـمـع إلى أنه مـائـدة قمار تحكمه قوانين الشطارة والخداع والصعلكة، ولا تضبطه قوانين الجد والاجتهاد والتعب المـثـمـر.
* يدب اليأس والكسل، وتـتـراخـى الهـمـم، وتـذبـل الأرواح، وتـصاب النـفوس بأمراض اجتماعية تميت الإنسان وهو حي.
*تطفو على سطح المجتمع الجيف المتحركة التي تزكم رائـحـتها أنـوف أصحـاب النفوس القوية ، والمبادئ القويمة ، فيتخفى أكثر هؤلاء ويتوارون ، ولا يـبقـى منهم إلا قلة حالها شبيه بحال مدينة ضربها وباء مهلك أو زلزال مدمر، أو فتنة مشتعلة: هلك فيها من هلك، وهرب منها من هرب، ولم يبق فيها إلا فئة صغيرة، عليـها يـقـع دفـن الـجـثـث، وتطهير الأمكنة ، وإخلاء من لا يزال به رمق إلى مواقع العلاج.
إذا رجعنا إلى اللحظات التي يصفها الناس بالمـصـيـريـة ، أو المـنـعطفات الحادة أو فترات الانقلاب نرى أن الذي أضفى عليها هذه الأوصاف هم الناس لأغـراض شـتى ، ولحاجات في نفوسهم ، أما هي - في حقيقتها- فلا تعدو أن تكون حلقات في مجرى التاريخ.
ولا ينبغي أن يفهم من كلامي أن فيه تقليلاً من قيمة بعض الأحداث؛ ولكن الهدف منصب على أن أي حادثة مهما عظمت وعظم أثرها فهي وليدة ظروف أدت إليها ، وليست ضربة حظ عمياء ، أو رمية من غير رامٍ.
قلت: أريد منك الفكرة الرئيسية التي تستفاد من هذا الحديث ، حتى لا يـتـشـعـب علينا الأمر فتضيع الفكرة ، ونخسر العبرة.
قال: الغرض الأساسي من هذا الحديث هو الإشارة إلى علة الجمود الثقافي والـفكـري الذي يخيم على العرب والمسلمين في هذه الفترة ، وهذه العلة هي انعدام الـتعاون الصـادق بـيـن طرفي القيادة في الأمة: الزعماء والعلماء ، ونظرة كل طرف إلى الآخر بعين الريبة والشك ، وقيام العلاقة بينهما على الخوف.
ففي ظل الخوف ينشغل الفكر بتحصيل المأمن بدل أن ينشغل بالإنتاج المـثـمـر ، والخـوف يـعرقـل الـمـواهـب إن لم يقتلها ، وفى ظله يفرخ اليأس والقنوط ، ويشيع الانشغال بما لا يجدي ، وينتشر السخف بدل الثقافة ، وتروج الخرافات بدل الحقائق ، ويكثر مستثمرو الآلام والأوهام بدل الأطباء الحكماء ، ويهرب أغلب الناس من مواجهة الحقائق إلى بلايا كالخمر والمخدرات والتدخين ، وإلى ما قد يكون مثلها أو أسوأ أثراً كالأحاديث الفارغة ، والأدب المخدر ، والفكر الكسيح.
كل ذلك مـمـا يـثمـره الخوف والتوجس. وما لم تصحح هذه العلاقة المختلة ، وتبنى على أساس من الثقة والائتمان؛ فلا أمل في خير ، ولا خروج من سبيل.

قلت: لكن الثقة والائتمان لن تكون ما لم يكن طرفا المعادلة قويين أمينين ؟!.
قال: هذا.. أو ما نحن فيه!

مقابلة

مع الشيخ الدكتور عبد العزيز القارئ

يسر مجلة البيان أن تلتقي بالدكتور عـبـد العزيـز القارئ الأستاذ بقسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد التقى المحــرر بفضيلة الدكتور وطرح عليه بعض الأسئلة فأجاب عليها مشكوراً.

1 - نرجو أن تعطى القارئ فكرة عن مسيرتك العلمية، ومَن مِن العلماء كان له الأثر الأكبر في حياتك العلمية.

ج: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فأجيب على هذا السؤال من باب التعارف المستحسن بـيـن المؤمنين ، خاصة أنه سيتضمن الجواب تعريفاً ببعض العلماء الذين أدركتهم ، وإلا فإني أعـلـم قدر نفسي وقلة بضاعتي ، أسأل الله أن يغفر لي ما لا تعلمون ، ويجعلني خيراً ما تظنون.

أقول: أول ما بدأت في الصغر بقراءة القرآن وحفظه على والدي الشيخ عبد الفتاح بن عبد الرحيم القارئ رحمه الله ، وهو قرأ على شيخه أحمد بن حامد التيجمي المصري الرِّيدي بمكة المكرمة، وإسـنـاده مـتـصــل إلـى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد ذكرت ذلك في مقدمة كتابي (قواعد التجويد على روايــة حفــص عن عاصم بن أبي النجود) ، وحفظت (التحفة) للجمزوري ، و (المقدمة) للجزري ، وهما منظومتان في التجويد ، ثم قرأت عليه قسماً من متن (القدوري) فـي الـفـقـه الحنفي، وبعد وفاة والدي رحمه الله سنة 1385 هـ تلقيت قراءة نافع بروايتي ورش وقالون على تلميذ والدي الشيخ محمد الأمين بن أيدا عبد القادر الشنقيطي ، وذلك بمضمن نـظــم (الــدرر اللـوامــع في مقرأ الإمام نافع) لابن برِّى الغرناطي.

أمــا الدراسة في المدارس الحكومية فبدأتها في المعهد العلمي بالرياض، ثـم فـي الجامـعـة الإســلامية بالمدينة المنورة من عام 1381هـ إلى 1389 هـ وتخرجت في كلية الشريعة بها، ثـم حصـلـت عـلـى درجة (الماجستير) ثم (الدكتوراه) في فقه السياسة الشرعية من جامعة الأزهر بمصر.

وأبرز من كان له أثر في نفسي أثناء الطلب بعد والدي رحمه الله ، هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، أمـد الله فـي عـمـره وبارك فيه ، فقد كان سماحته أثناء رئاسته للجامعة الإسلامية بالمدينة أبًّا مربياً ، وعـالـمــاً ومُوجِّهاً ، فأثر بعلمه وعطفه وتواضعه ، وبمواقفه الصلبة في حماية منهج أهل السنة

والجماعة ، وبنصحه للمسلمين رعاة ورعية ، وجرأته في الحق ، أثر بكل ذلك في نفوس أبنائه الطلاب ، وأنا واحد منهم إذ ذاك ، ثم فضيلة الشيخ محمد الأمين الجَنكي الشنقيطي ، مؤلف (أضواء البيان) وقد حظيت مع غيري من زملائي بدراسة أبواب القياس من روضة الناظر عليه رحمه الله ، وبحضور حلقته في التفسير في شهر رمضان من كل عام في المسجد النبوي الشريف ، وكان رحمه الله بحراً في العلم ، خاصة في علمي الأصول ، والتفسير ، ثم فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني كان له أثر بالغ في لفت انتباه طلبة العلم لما دَرَّس بالمدينة النبوية إلى العناية بعلوم السنة النبوية ، والشيخ الألباني كما هو معروف يعد من أبرز علماء الحديث في عصرنا الحاضر أسأل الله أن يمن عليه بالصحة والعافية .

ومن الأئمة المتقدمين كان تعلقي وتأثري أكثر بإمامين: أبي حنيفة، وابن تيمية،فمنهجهما فـي الفـقــه والاسـتـنباط وشموليتهما في التفكير وعمق فهمهما للإسلام كان مثار إعجابـي وتعلقي. وربما أكون أدق تـعـبـيــراً إذا قلت إن أكثرهما تأثيراً في تكويني العلمي هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإن هذا الإمام الحنبلي بجهاده المتوقد ، وفكره المجدد ، وفقهه العميق، وشمولية فهمه للدين، ولقواعده ونصوصه لا يملك طالب علم كامل القريحة أن يقاوم جاذبيته وقوة تأثيره ، ولابد أن لعدد من أئمة السلف تأثيرا في نفسي وفى عقلي عندما كنت أدرس مؤلفاتهم كالإمام الشافعي ، والشاطبي صاحب الموافقات ، والاعتصام ، وغيرهما ، فطالب العلم في العادة يستفيد من كل منهل صافٍ يرده ، والمناهل الصافية لدى السلف ما أكثرها.

وقد كانت المدينة النبوية أثناء طلبي للعلم في ربوعها شرفها الله زاخرة بالحيوية العلمية والنشاط العلمي، في حلقات المسجد النبوي الشريف أو في فصولي الجامعة الإسلامية،وذلك في السنوات من 1381 هـ إلى 1389 هـ.

2 - من الملاحظ أنه مع كثرة الجامعات في العالم الإسلامي، فإن عدد العلماء قل والمستوى العلمي ضعف فما هو السبب في رأيكم؟.

ج: أشهد أن العلماء قليل ، والمستوى العلمي لطلبة العلم هزيل ، وهذا من أخطر مـظـاهــر التدهور في وقتنا الحاضر،والسبب هو تدخل أهل السياسة والحكم في شئون العلم والعلماء، وفي أمور الفقه والفقهاء ، ومتى ما تسلطت السياسة على العلم فإنه يضعف ويفسد حاله ، لأن العلماء حينئذ يفقدون حرية الحركة واستقلالية العلم ، وهذان من أهم دعائم المسيرة العلمية في تاريخ الإسلام ، إذا نظرت في تاريخنا وجدت عصور الازدهار العلمية هي تلك التي حافظ فيها العلماء على استقلالية مؤسستهم العلمية وعلى ابتعادها عن أهواء السياسة وتقلباتها ، ووقفوا في وجه السياسة إذا ما حاولت التدخل.

هذه الاستقلالية للعلم والعلماء ضرورة ملحة ليس للمؤسسة العلمية في الإسلام فحسب بل للأمة كلها. . فإن من عوامل الانهيار والدمار للأمة أن يصبح العلم أسيراً لشهوات السياسة ، فإذا لم يصدع العالِم بكلمة الحق عند السلطان الجائر من يصدع بها إذن؟!.

3 -إن كثيراً من الشباب لا يتمكنون من الجلوس لطلب العلم على أيدي العلماء ، في هذه الحالة بماذا تنصحونهم؟ وما هي الكتب التي يدرسونها لتحصيل العلم الواجب عليهم؟

أحث كل شاب مهما كان مجاله واختصاصه الذي يشتغل به أن يحرص على تلقي العلم في حلقاته على أيدي الشيوخ المعروفين بالعلم والورع ولو اقتضى الأمر تذليل بعض العقبات ، والرحلة في طلب العلم الواجب أمر وارد ، وهي طريقة السلف ، ولكن إذا تعذر على بعضهم فعل ذلك فعليه أن يسدد ويقارب وينتقي ما يقرأ ويحرص على الكتب التي تجمع بين أمرين: السهولة، واليسر، وأن تكون على منهج أهل السنة والجماعة، وليبدأ بدراسة كتاب مختصر في التوحيد، مثل (تجريد التوحيد) للمقريزي ، أو (العقيدة الطحاوية) ، أو (عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ ابن عثيمين)، ونحو ذلك من المختصرات الميسرة المفيدة ، وفى الفقه يختار متناً فقهياً مشروحاً ، مثل (العمدة) في الفقه الحنبلي أو (الكافي) كلاهما لابن قدامة، فـإن صـعـب عـلـيـه ذلك فـليقرأ في كتاب (فقه السنة) للسيد سابق على ما في الكتاب من مآخذ إلا أنها لا تمنع من الاستفادة منه.

وأسلوب تلقي العلم من الكتب بدلاً من الشيوخ ليس من منهج السلف ، لكن عند الضرورة لابد مما ليس منه بد ، وأقترح لمن اضطروا إلـى ذلك أن يخفـفـوا من مخاطر هذا الأسلوب بالمدارسة ، وهى أن يجتمع الرهط من الشباب يتذاكرون العلم ، فـلـعل بعضهم يكون أفقه من بعض ، وبالسؤال كلما أشكل عليهم شيء ، أو اختلفوا في فهم مسألة ، والسؤال اليوم متيسر مع سهولة الاتصالات التلفونية وتقارب أطراف العالم بسببها.

وهنا نصيحة مهمة أسديها لهؤلاء الشباب الذين نتحدث عنهم ، أن يحذروا من الغرور ، فإن هذه الآفة في العلم قاتلة ، تكون سبباً لحرمان صاحبها من الاسـتـفـادة ، وربما كانت سبباً لاستدراجه إلى مهاوي البدع وحفر التنطع.

على الشاب الـمـسـلـم أن يـحـــرص على الاستفادة من كل من يثق بدينه ومنهجه وعقله وتجربته وعلمه وفهمه ، المهم أن يـكــون الـذي تـأخــذ عنه دينك مستمسك بمنهج أهل السنة والجماعة »إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم« هكذا قال سلفنا.

4 - نعلم أن لـكـم دراسـة حـول مـوضـوع (الأحــرف الـسـبـعة) للقرآن وعلاقتها بالقراءات القرآنية ، ما هي النتيجة التي وصلتم إليها في هذا البحث ، وما هي الوسيلة المثلى لتعلم التجويد؟.

نشر البحث الذي تشيرون إليه في العدد الأول من (مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية) بالمدينة النبوية الصادر في عام 1403 هـ ، وملخص ما ترجح لديَّ في معنى الأحرف السبعة الواردة في الحديث المتواتر »أنزل القرآن على سبعة أحرف« أن المراد سبعة أوجه من أوجه القراءة ، وهذا حد أعلى لاختلاف الأوجه ، إذ أن القرآن العظيم منه ما نزل على وجه واحد وهذا أكثره ، ومنه ما نزل على وجهين ، ومنه ما نزل على أكثر ، لكن لا تزيد الأوجه في مواضع الاختلاف من القرآن على سبعة ، وهذا الاختلاف لا يضير النص القرآني لأنه من باب خلاف التنوع لا من باب خلاف التضاد ، فكل وجه تجد فيه زيادة في المعنى تناسبِ المعنى الأصلي ، وربما تكمله أو تفسره ، فمثلاً في قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ولا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)). الآية ، فقوله؛ ((يطهرن)) بتسكين الطاء يحتمل أن يكون المراد منه انقطاع الدم ، ويحتمل أن يكون المراد الغُسل ، لذلك اختلف الفقهاء في ذلك ، فمنهم من أباح مجامعة المرأة بمجرد انقطاع الدم ، ولو قبل أن تغتسل ، ومنهم من اشترط لإباحة ذلك الاغتسال ، فجاء الوجه القرآني الآخر((حتى يطَّهَّرن)) بتشديد الطاء والهاء مفسرا المراد ، لأن هذه الصيغة - بالتشديد - لا تحتمل غير الغسل..

ثم إن في تعدد أوجه القراءة للنص القرآني وتنوعها تيسيراً للأمة ، . ويتبين ذلك بصورتين:

الأولى : العربي الذي نشأ لسانه على لهجة معينة - كالإمالة - مثلاً .

فإنه يجد سعة في الأمر إذا غلبه لسانه فأمال الألفات ذوات الياء أو هاءات التأنيث عند الوقف ، إذ يوافق ذلك حرفاً منزلاً ، لكن هذه التوسعة منضبطة بحدود المنزَّل ، لأن قراءة القران توقيفية.

الثانية : الأعجمي إذا غلبته عجمته أثناء القراءة فقلب الصاد سيناً - مثلاً - في قوله تعالى في سورة الفاتحة ((اهدنا الصراط المستقيم.)). ففي الأمر سعة لأنه وافق حرفاً منزلاً ، وهكذا إذا وافق القارئ عربياً كان أو أعجمياً شيئاً من الحروف المنزلة فإننا لا نُثرِّب عليه ، وإلا فإنه يُلام إذا لحن في القرآن مع القدرة على تجنب اللحن.

والطريقة الصحيحة لتعلم قراءة القرآن وتجويده هي التلقي من أفواه الشيوخ المتقنين ، فإن لم يجد الشاب المسلم من يقرئه فليستعن بالأشرطة الصوتية لتعليم التجويد ، وبالمصاحف المرتلة بأصوات المُجَوِّدين كالشيخ محمود الحصري رحمه الله.

5 - في زحمة التيارات الفكرية نلاحظ تركيز بعض الناس على الأفغاني ومدرسته ، فما هو رأيكم؟.

رأيي أننا من الناحية الفكرية تجاوزنا بكثير مرحلة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والمدرسة التي يسمونها بالمدرسة العقلية ، وهى أقرب

إلى اسم المدرسة الترقيعية ، التي تحاول الجمع بين الفكر الغربي والإسلام ، وذلك بإخراج (طبعة عصرية) للإسلام ، ولو أدى ذلك إلى تحريف بعض عقائده أو شرائعه وتفسيرها تـفـسـيـراً بـعـيـداً عن هيمنة الضوابط الشرعية والقواعد العلمية.ما حاجتنا إلى أمثال الأفغاني من الشخصيات التي يلف الغموض كثيراً من آرائها ومواقفها؟ وفى علم الجرح والتعديل لا يؤخذ من مجهول الحال ، ولا ممن كثرت أوهامه. ديننا والحمد لله واضح ، وضوابطه وقواعده واضحة ، ومنهجه واضح ، له منهج واحد هو منهج أهل السنة والجماعة الذين استمسكوا بمنهج الصحابة رضي الله عنهم في فهم النصوص وفقهها ، ومنهجهم في العلم.

ونصوص الـكـتــاب والسنة ليست حمىً مباحاً لكل أحد يفهمها كما يشتهي ، بل يلزم أن يـفـهـمـهـا بمنهج الصحابة ، ويفسرها بمنهج الصحابة الذين هم المقصودون عـنـد إطـلاق مصطلح: السلف.

في خاتمة هذه المقابلة ، نشكر فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ ، ونسأل الله له التوفيق في القول والعمل.

قراءة في كتاب

محمد حامد الأحمري

الكتاب : إقرأ وربك الأكرم.

المؤلف : جودت سعيد.

الناشر : أيمن نويلاتي.

الطبعة الأولى 1408 هـ-1988 م 290 من صفحة القطع الصغير.

يأتي هذا الكتاب بعد عدد من الـمـؤلـفـات للكاتب الإسلامي المعروف جودت سعيد ، وقد سبقه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) و (العمل قدرة وإرادة) و (مذهب ابن آدم الأول) وغيرها ، وقد سلسل هذه الكتب تحت عنوان : (أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع) كما سلسل أستاذه مالك بن نبي كتبه تحت (مشكلات الحضارة).

يناقش المؤلف في هذا الكتاب قضايا عديدة جداً ، يوحي السياق بكثرتها وتزاحم أفكارها ، تضيق بها حيناً فترفضها ، ويدعوك زخم الفكر والإثارة إلى الغضب والعناد والاستمرار فتقرأ بلا توقف ، أسوق في هذا التعريف نزراً مما أثار الكاتب ، مشيراً إلى أفكار مهمة في الكتاب مقدماً ما يمكن اعتباره مما لا يتفق مع الفكر الإسلامي القويم معقباً بعدها بالإشارة إلى بعض الجوانب الرائدة والمهمة في الكتاب ملمحاً إلى أن الحسنات يذهبن السيئات.

اتجاه إنساني عالمي:

لدى الكاتب هذا الاتجاه الذي نسميه إنـسـانـيـــاً عالمياً مائعاً ، يتعامل مع ((لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ)) و ((لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)) وما إلـيـهـــا مـن الأدلة القرآنية ويفسرها تفسيراً خاصاً به. يقول بعد تقرير منهجه الغريب:
(إن التسامح هو حاجة إنسانية عالمية ملحة في هذا العصر ، وظهرت آياته بأنه هو الذي يرث الأرض) [ص246-247] هذا التسامح الذي يلح عليه المؤلف ليس بالمفهوم الإسلامي، إنما هو مفهوم فلسفي بارد يعرض لمشكلات العالم ، ثم يرى حلها بخـيـالات الـفـلاسـفـة، فيرى أن المعرفة والتفكير العلمي سبيل لمجتمع إنساني بلا خلافات، وهذه مسألة تتعارض مع بدهيات الواقع والعقل والـشـرع، فهذا تـاريـخ البـشـر مشهود الآن ومعلوم من الماضي، وذلك واقـع الـبشر منذ (ابني آدم) والعقل يدل على تـعـارض المـصـالـح وتـنـافـس الـقـوى واختلاف الأهـواء ، والشرع بين لنا أمر آدم وإبليس والخير والشر والمؤمن والكافر ، ((ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِـيـنَ)) ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ)) ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى)) ((قَـاتـِـلـُـوا الَذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ)) ، "»بعثت بالسيف«" ... لكأنه يلغي جهاد الدفاع فضلاً عن الطلب والابتداء ، إنه يُغيب الجهاد.

قضية الجهاد والقتل:

تغيب في هذا الكتاب مسألة الجهاد والمواجهة والـصـراع، وقـد جـعـل الله الجـهـاد حـلاً لصلف الكافرين وإدبارهم وتجبرهم ، والكاتب منذ كتابه (مذهب ابـن آدم الأول) قـد قـرر تشنيع إراقة الدماء في الأرض ، فهو لا يرى لهذه المسألة وجوداً في عالمه الخيالي الفلسفي (الفـاضل) وهو متأثر أو موافق لمالك بن نبي إذ جعل - الأخـيـر - مـن غـانـدي صـاحـب الحلول السلمية مثالاً متبوعا في بعض ما كتب.
وبـلا شـك إن الحـل الـسـلـمـي دائما هو المقدم ولكنه ليس الـدائـم أبداً . وتستولي الأمنيات السلمية والتعاون واللطف والمـودة عـلـى خـيـالات الـفـلاسـفـة من قديم ، فالمدينة الفاضلة للفارابي ومن قبله ومن بعده فلاسفة اليونان والمزج الغريب عند إخـوان الـصـفـا ثم برتراند رسل في العصر الحديث والروحانية المشرقية لدى ميخائيل نعيمة وجبران خـلـيـل جـبـران وأتباعهم ، وهذه النزعة الراكدة التي تسمى ركودها تسامحاً تظهر لدى المسلمين الآن وهم بحاجة لمن يوقظهم مع العلم أن قدسية المعرفة وبرودها ينتج على العكس أحـيـانـاً فـلاسفة عدوانيين كـ (نيتشة) الذي مهد للنازية ، جودت يرى (أن السلام وليد العلم، وأن الإنسان لم ينقذه إلا العلم) [ص17].
أي علم يريد ؟ هل يمكن للكاتب أن يفسر التاريخ وبخاصة الحديث بمـعـزل عـن الـمـعرفة التي قـادت لـلصـنـاعـة فـالـسـلاح فـالأسـواق والاسـتعمار. ألم يخدم العلم الحربين ويهلك البشرية، ونحن الآن نعيش أقسى درجات

الاستعمار الـذي هـو ولـيـد الـعلم!! كيف تغفل خطورة الحد الآخر ، وقد ناقش شيئاً من هذا دون تمييز لحامل هذه المعرفـة فـالأمـر عنده عام بلا حدود جادة.

الإغراب بلا داعٍ:

في الكتاب نص مجمل موهم لا يليق وجوده مع مـا فـيـه من تعمية ، إضافة إلى مصطلحات ليست مفهومة لكـثـيـر مـن الـقـراء، قـال:(إنـنـا بحاجة إلى ابستمولوجيا جديدة لتحملها انتلجنسيا رائدة ، لنتخلص من الدغمائية الهابطة والمثـيـولوجيا المـتـغـلـغلة أو الثيولوجيا الخانـقـة، وقـد قـرر علماؤنـا ألا مشاحـة في الاصطلاح والمهم أن نفهم المعنى ثم كل واحد يستعمل اللغة التي تساعد على الفهم المـيـسـر والعلم بالبيان وكل ما وصل إلى فهم الحقائق بأيسر السبل فهو الأولى)[ص 257 - 258].

عجباً لهذا الكلام الذي ينقض بعضه بعضاً ، أي يسر وبيان وتوصيل للحقائق بأيسر السبل هنا؟!

قد نقول لا بأس ، لكن هذه الكلمات ذات مـعـانٍ لا يليق إطلاقها وبخاصة الثيولوجيا إنها تعنى التوحيد ، علم الكلام وما حولها مما هو ضروري للمسلم والـكلمة لا تميز بين مصطلح أهل السنة وغيرهم في مسائل علم الكلام أو الـتـوحـيـد والكـاتـب يتعسف بعض التفسيرات حسب هواه أو فهمه كتفسيره: (اقرأ وارق) بأنهما عموم القراءة في أي مجالات القراءة [ص 134] ، وتفسيره للنشأة الآخرة بأنها الأجيال القادمة وليس البعث [ص 215] ثم هو يقدم الأسلوب المنطقي على النصوص [ص266].

مكانة القراءة :

على الجانب الآخر: ناقش المؤلف في المقدمة والمدخل قضية القراءة ، ودلالة كلمات القرآن الأولى التي تلقاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمره له أن يقرأ ولأمته أن تولى القراءة اهتمامها ، وذكر أن إنجيل يوحنا بدأ أيضاً بـ (في البدء كانت الكلمة) وعقب بأمثلة وأرقام تؤيد مكانة القراءة لدى - الأمم اليوم: منها أن اليابان تصدر خـمـسـة وثلاثين ألف عنوان سنوياً تقريباً ، وهذا يمثل ضعفي ما ينشر في الولايات المتحدة، يستشهد بقول توينبي على (أن ارتفاع نسبة قراءة الكلمة المطبوعة هو الأساس الحضاري لتـصنيف البلدان في العالم إلى دول متخلفة أو نامية أو متقدمة((1) [ص 27].

يرى الأستاذ جودت سعيد أن الذكاء ليس أسمى من الـقـراءة، وأن الـقـراءة هـي التي تقعد الأقزام على رقاب العمالقة ، ويشير إلى شهيد العلم الجاحظ الذي سماه شـهـيـد الـكـتـاب والقراءة (!) الذي مات تحت كتبه كأنموذج لحرص الأمة الناجحة على القراءة والعلم.

يؤكد المؤلف على قضية مهمة يفقدها الشباب والقارئ في هذه الأيام ألا وهي الـكـزازة مـن كتب وكتّاب والتضييق على النفس في القراءة لنوع محـدد مـن الكـتـب وعـدد مـحـدد من الكتّاب. يقول:
(وإن القراءة المحدودة الضحلة المرعوبة لا تخلص مـن الـتـقـلـيـد والآبائية) [ص 42] ومما ساق: (إن كون النبي -صلى الله عليه وسلم-أمياً معناه أن أحداً مـن البشر لن يأتي بشيء وهو أمي)[ص 33].
لقد نعى على الأمة إهمالها للقراءة وقال: (إن الأمي غير قابل أن يـبـلـغ الرشد ، وإن صلة الإنسان بالكتاب تغير من سحنة الإنسان وتؤثر في عضلاته وسمات وجهه)[ص 76] وأحياناً يغالي في أهمية القراءة بما يتجاوز المدى [ص77] ثم أنحى باللائـمـة عـلـى سذاجة المسلمين في تحرير المفاهيم فبدلاً من أن يفهموا سر ((ن * والْقَلَمِ ومَا يَسْطُرُونَ)) بـدل تـعظيم القراءة والمعرفة تحول الأمر إلى جمع قصاصات الأوراق من الطرقات [ص79].
الكتاب في مجمله من الكتب التي تستحق القراءة والتمعن وهو يحتاج إلى مـزيـد مـن الـرد والتحقيق في كثير مما كتب ، وبعض أفكاره جديرة بالنشر والتأييد.
إنه يصدر في زمن شكا فيه المؤلف من عدم وجود الكاتب الذي يـبـعـث نـهـم القراءة أي لم يأت بعد ورثة الأنبياء بجدارة [ص254].
ثم يختم الكتاب بتواضع جم بقول: (آه لقد شوهت الفكرة وعرضت أفـكـاراً فـي مـنـتـهـى الأهمية بشكل هزيل)[ص255] ثم كتب تلخيصاً مختصراً جداً لكتابه سماه دليل الأفكار.
إن هذا التقديم مشاركة في قراءة الكتاب وفهمه ونقاشه وليست عائقا ولا حـجـراً بالمقررات السابقة حرصت على إبراز جوانب مهمة في الكتاب ، ومهمة في خطئها وصوابها .

الهوامش :

1 - هذا النموذج للمقايـيـس الماديـة الصرفة دون مراعاة لجوانب أخرى كالتصنيف الذي يقيس نسبة ما يستهلكه الإنسان من الكهرباء والماء أو مستوى الدخول الفردية. وهى كلها نظرات جزئية سطحية مادية لا تـراعـي روح الـفـرد ولا سعادته بجانب الوسائل المريحة فهي من التقدم المهم للإنسان.

خواطر في الدعوة

ولولا رهطك لرجمناك

محمد العبدة

من المبادئ الأساسية في الدعوة الإسلامية التعاون والتناصر بين المؤمنين ، وتـطـبـيـق مـبدأ الأخـــوة تطبيقاً عملياً ، والابتعاد عن خلق التفاخر الجاهلي بالأنساب والقبائل ، هذا هو الأصل ولـكــن قـد تأتـى الـنـصـرة والـمساعدة الفردية من القريب أو العشيرة أو من صديق الدراسة، لا من قبيل التدين والأخوة الإسلامية ، ولكن عصبية نسبية ، وأريحية ونخوة، فهل يرفض المسلم هذا التأييد، خاصة إذا كان في مرحلة الضعف ، مـع أنه لا يتنازل عن شيء من دينه أو عقيدته ، ولا هم يساومونه أو يطلبون منه المداهنة.

إن بـعـضـاً من الشباب المـسلم ولحساسية هذا الموضوع ، ولقلة فقههم فـي أصـول الـدعــوة يرفضون مـثــل هــذه الـمساعدة والتأييد ، ولكنهم لو تدبروا القرآن لوجدوا أنه ذكر قصص الأنبياء وكيف امتنعوا بأقـوامـهـم أو قبائلهم عصبية من أذى الكفار ، قال تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام وقومه:

((قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وإنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً ولَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ومَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)) [هود:91].

فهذه الآية تنبئنا أن الكفار لم يستطيعوا الوصول إلى شعيب بالأذى ، خوفاً من قبيلته.

وكذلك ذكر تعالى في صالح وقـومـــه:((قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وإنَّا لَصَادِقُونَ)) [النمل:49] فهم يخافون من أولياء صالح عليه السلام (عشيرته الأقربين) ولو فعلوا به سوءاً لفعلوه سراً ، ولحلفوا لهم أنهم ما فعلوا شيئاً ، وقال تعالى مخاطباً نبينا عليه الصلاة والسلام: ((ألم يجدك يتيما فآوى)) أي آواك إلى عمك أبي طالب ، قال الشيخ الشنقيطي معلقاً على هذه الآيات:(وهو دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر ، ولهذا لما كان نبي الله لوط عليه السلام ليس له عـصـبـة ظـهـر هـذا فـيـهـم لقوله تعالى:((قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ))

[هود:80] ولما ناصر بنو الـمـطـلب بن عبد مـنـاف بنى هاشم ولم يناصرهم بنو عبد شمس عرف النبي -صلى الله عليه وسلم- لبني المطـلـب تلك المناصرة التي هي عصبية النسب ، لا صلة لها بالدين فأعطاهم من خـمـس الـغـنـيـمة مع بنى هاشم وقال: »إنا وبنى المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام« ومنع بني عبد شـمـس وبـنـي نـوفـل مع أن الجميع أولاد عبد مناف((أضواء البيان 3/41).

هناك فرق بين الموالاة والمداهنة ، وبين أن يعرض قريب أو صديق خدماته ومساعدته لمسلم ويستفيد المسلم من هذا لدفع ظـلـم أو تخفـيـف ضرر ، ويبقى الأصل هو عدم موالاة الكفار وزجر أهل الفسوق والبدع ، وكل هذا يحتاج لفقه في الدعوة واستقامة على الطريق.

صورة الثورة الفرنسية في تطبيقاتها العربية

د. مصطفى السيد

أمة الصحراء يا شعب الخلود من سواكم حلّ أغلال الورى؟
أي داع قـبلـكم في ذا الـوجود صاح لا كسرى هنا لا قيصرا؟!
من سواكم في حديث أو قديم أطلـع القرآن صبحاً للرشاد؟
هاتفاً في مسمع الكون العظيم لـيـس غـيـر الله ربـاً للـعباد

بين تأليه الشعوب بجعلها مصدراً للتشريع ، أو تأليه الفرد وتأليه الفكر في غاب الضلال يظل الإسلام فرصة البشر الوحيدة في الخروج من المآزق المعنوية والمادية ، وأبيات (إقبال) التي صدر بها المقال تفسير لقول الله عز وجل ((قُلْ إنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى)) كما تحدد بوضوح: أن لا دور إلا للإسلام ، ولا بديل عن الإسلام إلا الإسلام.

أقول ذلك ، وقد بلغ صخب التنافس والتسابق على الإشادة والإشارة إلى منجزات الثورة الفرنسية 1898م بلغ هذا التنافس ذروته ، ولم ينكد على فرنسا فرحتها ، ويفسد عليها بهجتها سوى جـارتـهــا فـي الجغرافيا وشريكتها في التاريخ (بريطانيا) التي امتلكت من الشجاعة ما افتقدتها الوفود العربية الإسلامية التي راحت ترتجل معلقات الإطراء والمدح لهذه الثورة ودورها (*).

مميزات الثورة الفرنسية ، موجودة في بريطانيا قبل الثورة الفرنسية ، ودموية الثورة موثقة ومخلدة برائعة القاص الإنجليزي تشارلز ديكنز (قصة مدينتين) التي صدرت عام 1850 م وقد حملت تاتشر نسخة من الكتاب هدية منها للرئيس ميتران.

أمر لافت للنظر أن تستحضر المرأة الإنجليزية تراثها أمام برج إيفل وفى قاعات الإليزيه ، ولكن النظر ينقلب حسيراً أن نجد رجالات العرب المسلمين لا يحضرهم شيء عن الإسلام صاحب الدعوة العملية لـيـس لحـقــوق الإنسان فقط بل لحقوق الحيوان »أإن لنا في البهائم لأجراً؟ فيجيب الرسول الـكـريـم -صلى الله عليه وسلم-:"فـي كل ذات كبد رطبة أجر«" عليك الصلاة والسلام يا رسول الله وأنت تخاطب (أُحُد) "»هذا أحد جبل يحبنا ونحبه«".

هذه العاطـفـة التي تمتد إلى الجلاميد الصلاد هل يمكن أن يسبقها شيء في الحقوق بكل صورها؟.

ويقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لجنازة يهودي، لا تقرباً إلى لجان حقوق الإنسان بل ليكون وقوفه -والله أعلم- سنة ماضية لا تظاهرة إعلامية.

وإذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية (المقدسة) هي التي تحكم أوربا في مطالع القرن العشرين فلنر ثمرة ذلك.

يقول البير كامي 1913-1960 الحائز على جائزة نـوبــل والـذي يـعد فـكـراً وشخصية ، جزائرياً بحـسـب الـمـولد والنشأة ، وفرنسياً بحسب الثقافة والانتماء ، يقول: (إن سبعين مليون أوربي بين رجل وامرأة وطفل قد اقتلعوا أو نفوا أو قتلوا خلال خمسة وعشرين عاماً بين1922-1947)(1).
أما ضحايا هذه الثورة عشية ظهورها فبلغت كما يذكر فيليب دوفاليه مؤرخ فرنسي معروف أربع مائة ألف مواطن فـي غـرب فـرنـسا وحدها ، وفى مصدر آخر أن هذه المذابح الثورية (أتت على سبع سكان فرنسا) ، لقد قال أحد كبار الكتاب في الغرب (بيتر فايس): (وضعنا ماكينة الثورة ، لكننا لا نزال نجهل طـريـقة استعمالها) وأنا لا أدري إن كانت هناك ثورة حديثة قد تجاوزت هذا القول.
أما فكر الثورة الفرنسية - ونحن لا نزال في دائرة المراجع الفرنسية - فهو تأليه العقل(2).
وفى المصادر الغربية يقولون عن الثورة الفرنسية: (نصبت العقل معبوداً تقدم له القرابـيـن وتقام له الشعائر)(3).
ولم يـكـــن الـغــرب مجمعاً على تقديس هذه الثورة ، فأهالي (فرساي) خذلوا كل توسلات ميتران للمشاركة فـي احتـفـالات الثورة ، ونفر من شباب جامعة السوربون اقترحوا إقامة نافورة في ذكرى الثورة ترش الـنـاس بالماء وان يكتب عليها شعار الثورة معكوساً: غباء - حماقة - وحشية ، و على غلاف (نيوزويك) الأمريكية 20 فبراير الماضي 1989 مقصلة وجسم ممدود ورأس مقطوع والعنوان : مراجعة الثورة الفرنسية.
وإذا كان كلام الساسة المسلمين الذين شـاركـوا في أعراس باريس بمناسبة مرور قرنين على الثورة الفرنسية في أواخر يوليو تموز 1989 والذين لهم قرص في كل عرس ، إذا كان كلام هؤلاء يصنف عادة أنه كلام بروتوكولي فـالـعـجـب الـعـجاب يتأتى من كهنة الثقافة عندنا الذين يعدون بداية وجودنا وميلادنا الإنساني يوم دخلت خيول هذه الثورة مصر 1213- 1215هـ-1798-1801م إن هذا الـوجـــه الخادع للثورة الفرنسية جعل قطباً من أقطاب التاريخ المصري ينشد في بداية كفاحه الـوطـنــي 1895: وهو مصطفى كامل ينشد ابتغاء الغوث من هذه الثورة:

أفرنسا يا من رفعت البلايـــــــا عن شعوب تهزهـــــــــا ذكراك
انصري مصر ، إن مصر بســـــوء واحفظي النيل من مهاوي الهلاك
وانشري في الورى الحقائق حتى تجتلى الخير أمة تهــــواك (4)

إن هؤلاء جميعاً من المبهورين بالثورة الفرنسية ينطبق عليهم قول جومار المشرف على بعثة الطهطاوي ورفاقه: (يظهر من فحوى كتاباتهم أنهم قبل أن يكتبوا يفكرون بعقل فرنسي لا بعقل عربي) (5).

إن هؤلاء جميعاً يعدون (محمد علي) 1182-1265هـ الأب الـروحي لـلـدولـة الـعـربـيـة الحديثة الوليدة العربية للثورة الفرنسية ، وإن رفاعة الطهطاوي الذي ولد في العام الذي انسحب فيه الفرنسيون من مصر 1801-1873 هو المنظر الثقافي الأبرز لهذه الدولة ولتلك المرحلة.

وإن كان جمهور الكهنة في معابد الثقافة الهلنستية والغربية لا يزالون في حالة استغراق تـام وهــم يرتلون أسفار الثورة الفرنسية ، فإن نفراً من الباحثين قد أخذ يقرأ هذه الثورة بعقل سلـيــم معلنين أنها باتت من النفايات التاريخية وقد آن الأوان للدخول في مناقصة بيعها وتصـفـيـة ملحقاتها من علمانية وحقوق إنسان الخ الأطر الجميلة لمضامين فارغة.

إن الحملة الفرنسية على مصر قد نبهت مصر إلى تاريخها الفرعوني للالتفاف على التاريخ الإسلامي ، إن صورة فرعون الديكتاتور في القرآن كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

إن الحملة الـفـرنـسـيـة قـد اصـطـحبت معها أكثر من (300) امرأة سافرة وكن أزواجا أو خليلات للجنود وكن معرضاً أو نموذجــاً لـما تريده الثورة الفرنسية للمرأة المسلمة في مصر وهو أن تحاكي هذه النماذج الهابطة الساقطة (6).

إن نابليون عمل من خلال المجلس الذي شكله لحكم مصر على نسف آيات المواريث التي تميز الرجال عن النساء (7)، وذلك كله كان الأرضية التي انطلق منها دعاة تحرير المرأة ، ولقد كان الطهطاوي هو الجسر الأكبر الذي عبرت من فوقه أفكار الثورة الفرنسية.

والحق أن قراءة إسلامية لجهود الطهطاوي الفكرية باتت أمراً ملحاً لعدة أسباب:

* الثناء المطلق على الطـهـطـاوي داعـيـة ودعــوة لدى كل حديث عن جذور النهضة ومن مختلف المنابر والمواقع الثقافية إلا من عصم ربك.

* أثر الطهطاوية في الحكم والحكومات العربيـــة الحديثة والمعاصرة لأنه كان الجسر بين العرب والثورة الفرنسية ، والانطلاق من دعوته وتـجـربـتـه لـتـدعـيــم وترميم كل جسور التقارب مع الغرب.

*دعوته نقض وإجهاض لدور الشريعة وإلا فبم نفسر كونه (أول من كـتـب للـمـصـريين في المباحث الدستورية ، وعرب دستور فرنسا في ذلك الحين) ؟ (8).

تترس العلمانيون واليساريون والتلفيقيون خلف الطهطاوية ليحتسبوا على الإسلام سيئات الحكم فـي العـالـم الإســلامي فـي كل الأعصر ، إرجافاً لإبعاد الإسلام عن قيادة الحياة والمجتمع.

ترتب على مشروع محمد علي - والذي نفذه فكرياً الطـهـطـاوي - انكماش وتهميش لدور الأزهر التاريخي وذلك لصالح المدارس والبعثات التي شكلت

العمود الفقري للبنيان الثقافي الجديد ، وألحق العلماء بهذا المشروع الجديد (9).
وإذا كانت إقامة رفاعة في فرنسا التي بدأت عام 1826 قد وضعته بصورة نهائية وتامة في صف المبهورين والمحامين عن فكر الثورة الفرنسية فإن ذلك ما كان ليتم لولا جهود شيخه شيخ الأزهر أيـامئذ حسن العـطـار ، هذا الشيخ (الذي فر إلى الشام عشية دخول الفرنسيين مـصـر ثـم عـاد ليلـتـقي معهم ويتصالح مع الحضارة الغربية بل يـتـجـاوز ذلـك لـيـعـجـب بالفرنسيات ويتغزل بهن وهذا لـيـس كـلام الـدوائـر الإسـلامـيـة بل سطره رأس من رؤوس الحداثيين في مصر صلاح عبد الصبور في كتابه (قصة الضمير المـصري الحديث) ص 23 - 24 ، ولو قال غير عبد الصبور هذا الكلام لنبز بالعري من الـوعـي وألـبـس حـلـة التطرف وكسوة التعصب. وهكذا (كانت استجابة الطهطاوي الكاملة لما قدم له في فرنسا مـن أطـعـمة فكرية ومعتقدية).
(لقد صرعت العلمية الغربية الطهطاوي عالماً وعاملاً ، وأجبرته عـلى أن يدفع ثمن حضوره على مسرح الفكر الحديث ، انقطاعاً كاملاً عن دورة الاجتماع الإسلامي الداخلية ، ولم يزوده هذا الحضور إلا بما يحتاجه في إطار الموقع الذي يحتله في أجـهـزة التجربة التحديثية لمحمد علي ، لم يكن مؤسساً لها ، بل ملتحقاً بها على سبيل التبعيـة الشاملة ، ولم يكن الـطـهـطـاوي أزهرياً متنوراً يـواجـه التجربة الأوربية عن قاعدة المكانة التاريخية للأزهر بـــل كان نتاج انـهـيــار الـدور التــاريخي لهذه المؤسسة والتحاق أفراد محددين بالسـلـطـة الناشئة (سلطة محمد علي) فالطهطاوي لم يكن أزهرياً متنوراً بقدر ما كـــان تـعـبـيـراً أزهرياً هامشياً لمشروع التحديث الناشئ عـلـى أنـقـاض مـؤسـسـة الأزهــر التاريخية)(10).
إننا نتساءل لماذا أهمل دور الجهاد والقتال من قبل الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية؟ ولماذا أغفل رفض قطاعات كثيرة من الشعب للتفرنس بكل صوره؟. .
ولماذا كان البحث عن أسباب الـقـوة خـــارج حـــدود المجتمع الإسلامي؟ وبالتالي لماذا لم يبحث الطهطاوي عن مصادر القوة داخل بنيان المجتمع الإسلامي وداخل الخزين الفقهي والمخزون الفكري الإسلامي؟.
ألم تكن سياسة الهروب هذه تكملة وتتويجاً لـحـالـــة هروب وانقطاع تاريخيين للسلطة في العالم الإسلامي عن النموذج النبوي التاريخي من جهة ، واستمراريته المتحققة في تيارات الأمة القاعدية في المرحلة التي تلت انقطاع رأس الـهــرم السياسي والفقهي الإسلامي عن النموذج النبوي الشريف) (11).

وإذا انطلت على الأذهان أكذوبة التحديث وأصالتها وفـــائدتها المحققة فإننا نتساءل عن ثمرتها على الأرض هل كانت في هيمنة بريطانيا على مصر (المحدَّثة) لعشرات السنين؟.
ولا بأس أن نثبت هنا ما قاله فهمي هويدي: (إن المصريين دفـعـــوا كل فواتير التحديث وضرائب التغريب كاملة دون أن يجنوا من ذلك ثمرة تذكر)(12).
ويقول لويس عوض مقوِّماً رجالات عهد التحديث قديماً و حديثاً:
(السادات وأبناء محمد علي فصيل واحد في الفساد، وهذان العصران من أسوأ عصور مصر، وعندما نـتـتـبع العصرين سنجد أن التاريخ يعيد نفسه في الفساد والنهب وفتح البلاد على مصراعيها أمام القوى الخارجية)(13) (*).
لقد انفتحت اليابان على الغرب ، محتفظة بكل مقوماتها الذاتية واعـتـــزازها بـروحهـــا ولـغـتـهـا ، فأخذت دون أن تدفع ضريبة معنوية ، أما الانفتاح الطهطاوي فلم يبق ديناً ، ولم يأت بدنيا.

الهوامش :

(*)- لا غرابة في ذلك فموقف بريطانيا هو موقف الند للند أما مواقف الآخرين فهي مواقف العبد أمام الـسـيـد ، وقد يـظـفـر العبد بالعتق الجسدي أما العتق النفسي فيحتاج إلى زمن طويل حتى يكون ، وقد لا يحصل أبداً التحرير.
1 - السير كامو: تأليف جرمين بري ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا [ص 13].
2 - المصدر السابق / 243.
3 - قصة الضمير المصري الحديث: صلاح عبد الصبور.
4 - المصدر السابق / 243.
5 - البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد: عمر طوسون.
6 - دراسات في تاريخ مصر الحديث / 94 د. عمر عبد العزيز.
7 - المصدر السابق /187 ، وكان اسم المجلس (فرمان الشروط) والذي وصم كل أعضائه من المصريين بالخيانة بعد رحيل نابليون.
8 - في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي / 26.
9- مجلة الفكر العربي ، بيروت ، عدد 45 ، من مقال من أكمل ما قرأت في تحليل دور الطهطاوي د. حسن الضيقة بعنوان (الطهطاوي وعقيدة التحديث).
10 - من مقال: د الضيقة.
11 - المصدر السابق.
12 - الأهرام ، رمضان 26 منه 1409 هـ.
13 - مجلة الشراع ، عدد 369.
* ويلاحظ القارئ كيف استثنى لويس عوض عصر عبد الناصر من عصور الفساد ولو أنه لم يفعل لقلنا:(صدقنا وهو كذوب)! ولــويــس عوض هو لويس عوض ، وهل من عاقل ينتظر صدقاً منه ومن مدرسته؟! والعصر الـمستـثـنـى

(وهو حلقة في سلسلة) هو العصر الذي صنع لويس عوض ، وسلطه ليفسد في الفكر ، ويخرب في الثقافة ، فكيف لا يستثنيه؟!

أغير الله اتخذ ولياً

محمد صالح المنجد

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد:

فولاية المسلم لربه هي مسألة المسائل وأصل الأصول التي تتشعب عنها التصورات، وتنطلق منها المواقف.

وتزداد الـحـاجـة لـلـتـركـيـز عـلـى هـذا الأصـل في غمـرة الخلط الحاصل اليوم في ولاءات المسلمين، وفي غيابة فقدان هذا الأصل عند من أمسكوا بشيء من الأزمة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وهذا مقام مسافر فيه عرض لبعض مقتضيات هذه المسألة:

1 - إفراد الله بالولاية:

ويدل عليه قوله تعالى: ((قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ ولِياً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ...))

ويربي القرآن المسلم على تحديد هذا الأمر بينه وبين نفسه وأمام الآخرين بوضوح وجلاء.

((إنَّ ولِيِّيَ اللَّهُ الَذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)) [الأعراف:196].

وولاية المسلم للرسل وللمؤمنين نابعة من هذه الولاية وهذه الولاية متبادلة بين العبد وربه، ولاء العبد لله وتولي الله لعبده؛ ((اللَّهُ ولِيُّ الَذِينَ آمَنُوا)).

إذن فولاء المسلم لا يصح أن يتجزأ شيء لله وشيء لغير الله.

2 - إفراد الله بالعبادة:

((قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ..)).

والانصهار فيها حتى يصل العبد إلى الدرجة المبينة في حديث «. فـإذا أحـبـبـتـه كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها..))

3-توحيد مصدر التلقي :

عن الله وحده الذي يقول:((وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ..)) ويقول محذراً:((اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ.)) فمصدر التلقي إذن هو الوحي فقط وليس القوانين الكافرة أو عادات القبائل أو أعراف المجتمعات أو بيوت الأزياء. وحق التحليل والتحريم لله وحده وليس لأحد بعده سبحانه.

4 - التحاكم إلى الله وحده:

القاعدة: ((إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ.)) والاستفهام القرآني قوي إنكاري ((أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً)) والقرآن يحدد موقف المخالفين لهذه المسألة في آية((يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ.)) فكيف إذاً صار المبدأ

عند البعض الاعتراض على أحكام الله؟ وكيف إذا آل أمر الآخرين إلى أن كرهوا ما أنزل الله ، فأحبط أعمالهم؟!

5-توحيد الانتماء إلى حزب الله (أهل السنة والجماعة):

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن صفات هؤلاء الغرباء التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك اكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله: لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب ، ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً ، وأكثر الناس - بل كلهم - لائم لهم). وتوحيد هذا الانتماء يفيد كثيرا في تجميع الجهود وتوجيهها؛ لرفع شأن أهل الحق وصد كيد أهل الباطل.

6 - استبدال ولاية الله بالولاءات الجاهلية:

كثيرون أولئك الذين لا يزالون يمتون بصلات وولاءات لأعداء الله بشكل جزئي أو كلي ، قد يأخذ صوراً مادية أو معنوية. على هؤلاء إن أرادوا النجاة من نار جهنم أن يستدبروا أهل الباطل ويولوا وجوههم لأهل الحق ، وتبني دين الله عز وجل ، وأن يقوم العزم في أنفسهم على عدم وصل حبال الكفار مرة أخر ى.

كانت الولاءات في الجاهلية تتعدد بتعدد القبائل والعصبيات فلما جاء الإسلام أزالها وأبدلها بولاية الله ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حريصاً كل الحرص على عدم تجديد وإحياء شعارات الجاهلية وولاءاتها في نفوس المسلمين.

روى البخاري رحمه الله تعالى تحت باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية: عن جابر رضى الله عنه قال: غزونا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعّاب (يلعب بالحراب) فكسع أنصارياً ، فغضب الأنصاري غضباً شديداً ، حتى تداعوا ، وقال الأنصاري: يا للأنصار ، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: »ما بال دعوى أهل الجاهلية ، ثم قال: دعوها فإنها خبيثة« .

ونظرة تقويمية للواقع تخبرنا أن ولاء كثير من العجائز في قعر بيوتهن خير وأحب إلى الله من كثير ممن ابتليت بهم الدعوة الإسلامية والذين تنازعتهم الولاءات للجاهلية من كل جانب ((ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد. لله بل أكثرهم لا يعلمون)).

7- محبة أولياء الله وفي مقدمتهم محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-:

في الصحيح المسند من أسباب النزول، من رواية الطبراني في الصغير عن عائشة قالت:جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلى من نفسي وإنك لأحب إلى من أهلي ومالي وأحب إلى من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله)).

وهذا يقوي الأواصر والروابط بين أفراد المسلمين وخلاياهم في المجتمع الإسلامي الكبير ، ويقضي على دخائل النفس الخبيثة التي تنحرف بالمحبة في الله إلى أغراض أخرى، وذلك إذا والى كل مسلم أخاه ، بحسب حاله من الإيمان والعمل الصالح.

مصطلحات إسلامية

الاستخارة

إعداد: عادل التل

المعنى اللغوي:

جاء في مادة خير: الخاء والياء والراء أصله العطف والميل ، ثم يحمل عليه ، فالخير خلاف الشر ، لأن كل أحد يميل إليه ، ويعطف على صاحبه ، والخيرة: الخيار. قال في اللسان: الخير : الكرم ، والخير: الهيئة ، والخير : الشرف. والاختيار: الاصطفاء.

والاستخارة: طلب الخير في الشيء وهي استفعال منه ، واستخار الله طلب منه الخيرة. ويقال استخر الله يخر لك ، والله يخر للعبد إذا استخاره ، اللهم خر لي أصلح الأمرين ، قال الأزهري: استخرت فلاناً أي استعطفته فما خار لي أي فما عطف. وهناك قصة طريفة حول أصل الاستخارة كما جاء في اللسان: إن الصائد يأتي الموضع الذي يظن فيه ولد الظبية أو البقرة ، فيخور خوار الغزال فتسمع الأم ، فإن كان لها ولد ظنت أن الصوت صوت ولدها فتتبع الصوت ، فيعلم الصائد حينئذ أن لها ولداً فتطلب موضعه،فيقال استخارها ، أي خار لتخور ثم قيل لكل من استعطف: استخار.

المعنى الاصطلاحي :

من المعروف أن الخير هو كل ما يرغب فيه الكل، كالعقل والعدل والفضل، والشيء النافع ولكن للخير وجهان: الخير المطلق وهو مرغوب فيه بكل حال وعند كل أحد ، ومنه "لا خير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة" خير مقيد وهو خير لشخص وشر لآخر ، مثل المال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو.

والاستخارة في الشرع:طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما، والاستخارة تكون بالتوجه إلى الله تعالى وهى تختلف عن الاستشارة التي توجه للناس، والاستخارة فيها دعاء، ولكن دعاء خاص ومحدد في الشرع، وقد ذكر النووي أنه يستحب أن يستشير قبل الاستخارة من يعلم حاله النصيحة والخبرة ، ويثق بدينه... فإذا ظهر أنه مصلحة استخار الله في ذلك.

وتكمن أهمية الاستخارة بأنها تسليم مطلق لله تعالى وانقياد له وإذعان لمنهجه ، ورد الأمور كلها إليه والتبري من الحول والقوة بقوله تعالى: ((ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)) [الأحزاب:36].

ومن خلال دعاء الاستخارة ندرك حقيقة هذا التوجه ، فقد روى البخاري عن جابر قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: فإذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم،فإنك تقدر ولا أقدر،وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني وعاقبة أمري -أو قال عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به. ويسمي حاجته".

من أحكام المصطلح:

والأصل في الاستخارة أن تكون في الأمر المباح، أما الواجب والمستحب فلا يستخار في فعلهما، إلا إذا تعارض في المستحب أمران. أيهما يبدأ به ، ويقتصر عليه ، وكذلك الحرام والمكروه، لا يستخار في تركهما، وتتناول الاستخارة العظيم من الأمور والحقير، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم.

ولقد شرعت الاستخارة للمسلم لطلب الخير في المستقبل، لذلك أبطلت عادات جاهلية كانت قائمة على طلب الخير للإنسان في المستقبل إلا أنها كانت تجري بأساليب غير شرعية ومنها:

الطيرة:

وهى التشاؤم، وأصل التطير، أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأي الطير طار يمنة، يتيمن به، واستمر،وإن رآه

طار يسرة تشاءم ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ، ليطير فيعتمد الجهة التي يطير إليها فجاء الشـرع ونـهـى عن ذلك، وقد قال رسول الله تتتت:» الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل« أخرجه ابن ماجه وهو صحيح. وعن أبي هريرة: »كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة« أخرجه ابن ماجه وهو صحيح.

الاستقسام بالأزلام:

وهي عبارة عن أقداح توضع فيها أوراق ثم يختار واحد منها ليأتمر بما كتب فيه ، وقد جاء في سورة المائدة ما نهى عنه ، ومنها قوله تعالى:((وأن تستقسموا بالأزلام)).

السحر:

وهـو طـلـب معرفة الغـيـب من السحرة. وفعل السحر كفر، والذهاب إلى الكهنة والعرافين والمنجمين وكل هذا باطل بإجماع علماء المـسـلـمـين ، وكـذلك ما هو معروف قديماً بضرب الرمل أو الحساب على النجوم أو الأبراج أو الاطلاع على الفنجان أو قراءة الكف ، وكل هذا باطل وغير شرعي.
وتنتشر هذه الانحرافات كلما ابتعدت الأمة عن شرع الله واتبعت الأهواء ، ولا عاصم من الفساد إلا بالعودة إلى منهج الإسلام نستمد منه مـفـهـوم الحلال والحرام ، ونستـفـتـيه في شؤون حياتنا كلها. وقد قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فيما رواه الترمذي: »اللـهـم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء«.

شذرات وقطوف

دور المعلم المتجدد كل يوم

إن الذين يتصورون عمل المعلم على أنه مثل باقي الوظائف أو الأعمال الأخرى ، أي عمل رتيب لا يتغير ولا يتبدل من يوم لآخــر مـثـله في ذلك مثل المحاسب الذي يجلس خلف مكتبه يراجع عشرات أو مئات الفواتير والمستندات والدفاتر ، الذين يتصورون عمل المعلم من هذا النوع.. يخطئون فهم طبيعة عمل المعلم خطأً كبيراً.
إن المعلم يواجه في كل يوم من أيام عمله تحـديــاً جـديـداً يتمثل في حماس الشباب الذين يحيطونه بأفكار جديدة وأسئلة متنوعة ، وربما بمشاكل مـتـجددة أيضاً ، إن كل يوم عمل في حياة المعلم إنما يمثل تحدياً جديداً عليه أن يقابله بما يسـتـحـق وبما يتمشى معه. ليس هذا فحسب ، وإنما كل درس يدخله يحتمل هذا المعنى ، إذ إن كــل فـصـل يختلـف عن الآخر من حيث طلابه ، ومن حيث حماسهم ونشاطهم وتفاعلهم ، بل إن نفس الفـصل في الصباح يخـتـلـف عنه في الظهيرة، وذلك رغم أنه يضم نفس الأطفال أو

نـفـس الـشـبـاب، وذلك أخذاً في الحسبان عاملي النشاط في الصباح والتعب والإرهاق بعد الظهر.

تربية الأطفال

ثـم تـأتـى مـشـكـلـة الأطفال ، سينشئهم على الإسلام ويفسدهم الشارع والمدرسة والمجتمع كله.. ومع ذلك فلا خيار .. وليس هناك بديل.. ولا حلول سحرية للمشكلات! لا تستطيع -ولا يجمل بك - أن تحجـز طفلك عن الشارع ... إنما عليك أن تقوم بعملية غسيل يومية لما أصاب طفلك..!
وقـد تفـلـح فـي ذلك تماماً وقد لا تفلح، ولكن عليك المجاهدة الدائمة في كل حال، وهــو عذاب ومشقـة ، ولكنك تؤديه لله ، وتعلم أن جزاءه الكامل عند الله ، ويعينك في ذلك أن تجعل العلاقة بـيـنـك وبـين طفلك قوية متينة عميقة ، فحين يكون الطفل محباً لوالديه ، متعلقاً برضاهما عنه ، يكــون وزن البيت في حسه أثقل من وزن الشارع ، فيستطيع البيت من ثم أن يصلح ما يفسده الشارع ، كله إن وفق الله ، أو بعضه على الأقل بإذن الله.
محمد قطب - منهج التربية الإسلامية 2 / 193

من مكائد إبليس

لم أرَ لإبليس أصيد ولا أقبح ولا أحمق من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته ، إحداهما: اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله ، والثانية: استسهال الإنسان أن يسئ اليوم لأنه قد أساء أمس ، أو أن يسئ في وجه ما ، لأنه قد أساء في غيره ، فقد صارت هاتان الكلمتان عذرين مسهلين للشر.
ابن حزم - الأخلاق والسير في مداواة النفوس / 31

علماء معاصرون

جمال الدين القاسمي(1)

سليمان عبد الله الياسين

هو أبو الفرج محمد جمال الدين بن مـحـمــد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبى بكر المعروف بالقاسمي ، إمام الشام في عصره ، محدثاً ، فقيهاً ، مفسراً ، مصلحاً وأديباً .
ولد الشيخ القاسمي في مدينة دمشق ، يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، نشأ في بيت علم وفضل، فوالده كان فقيهاً ، عالماً ، أديباً ، أفاد منه الشيء الكثير ، فكان هذا عاملاً بالإضافة إلى ذكائه واستعداده وقدراته على أن ينشأ نشأة علمية صالحة.
أخذ العلوم عن مشايخه على طريقة القدماء ، نظراً في الأدلة ، وتوثيقاً للنصوص ، ووقوفاً على أقوال السلف الصالح، الذيــن تـعـتـبـر أقـوالهـم

مرجحة لما يقع من خلاف في عصور المتأخرين ، كل ذلك في حياة تقليدية يظهر عليها الجمود ، والجهل والتقليد.
نشأ الشيخ القاسمي في ظروف كانت الطرق الصوفية فيها في أوج انتشارها ، يعتنقها العامة حول بعض المشايخ الذين يشغلونهم عن العمل النافع الـذي أمــروا بــه لإقـامــة المجتمع الصالح.
مـن هـذا الوسط المختلف المشارب والمآرب دعا الشيخ القاسمي إلى العلم ، ونبذ التـعـصـب والتـقـلـيد ، وتصفية العقيدة مما علق بها من أفكار وفلسفات واعتقادات دخيلة ، وإرجاع مجد الإسلام ، ورفع شأنه ، وجعله الحكم على شئون الحياة كلها.
فكانت النتـيـجـة أن اجتمـعـت عليه الجموع ، وهذا حالهم في كل زمان ، فهم يختارون الأوساط التي تعينهم على ترويج ونشر أفكارهم و معتقداتهم.
إن صفحات التاريخ لتضع أمام كل باحث ومفكر وطالب علم ، حقيقة ذات أهمية كبـيـرة وهى أن الخاصة من الرجال والعلماء والمفكرين هم وراء الـتجـديـد ، ولا أقـصـد بالـتجديد تغيير حقائق هذا الدين العظيم، الذي تكفل الله بحفظه،ولكنه تجديد العودة إلى الأصول، وتغيير المفاهيم الدخيلة ، سواء في العقيدة ، أو السلوك ، أو في مجال النظر والاستدلال.
لقد آمن القاسمي رحمه الله بنبذ التعصب والجمود ، وفتح باب الاجـتهاد لمن ملك القدرة على ذلك ، وكثيراً ما كان يستشهد بأقوال الأئمة الأربعة للتدلـيـل على أفـكـاره ، فـكـان يقول: "إن من يطلع على كتب هؤلاء الأربعة رحمهم الله يرفض الـتـقـلـيـد ، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد ، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة ، وينقل كلاماً للمزني - وهو من أئمة الـشـافـعـيـة- في كتاب الأم للشافعي فإنه يقول: أنقل لكم كلام الشيخ الشافعي لا لتأخذوا به، فإنه كان نهانا عن التقليد فيقول : يجب الاحتياط بالدين ، والأخذ بالكتاب والسنة (2).
وعليه فقد لفقوا له تهمة خطيرة يستحق عليها السجن والتعذيب؟!
إنها تهمة الاجتهاد، وتأسيس مذهب جديد في الدين سموه (المذهب الجمالي) وشكلوا لذلك محكمة خاصة مثل أمـامـهـا مـع لـفـيـف مـن الـعـلـمـاء ، كان ذلك سنة 1313هـ وله من العمر ثلاثون عاماً ، ثم خلوا سبيله.
يقول في كتابه الاستئناس [ص 44]: "وإن الحق ليس منحصراً في قول ، ولا مذهب ، وقد أنعم الله على الأمة بكثرة مجتهديها).
وفى كتاب إرشاد الخلق [ص 4]:يقول: "وإن مراد الإصلاح العلمي بالاجتهاد ليس القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراد ، وإنما المراد إنهاض رواد العلم ، لتعرف المسائل بأدلتها".
ونحن اليوم في عصر قد كثر فيه الخلاف ، وذهبت فيه العقول منازل كثيرة ، ما أحوجنا إلى نبذ التعصب، وتحرير العقل من الهوى، والسعي وراء الأدلة

الصحيحة ، فندور حيث دارت ، ونتمسك بها ولا ننتصر لرأي ذاتي فربما كان خطأ أو صواباً.
أخذ القاسمي العلوم عن كثير من المشايخ أمثال: الـشـيخ سـلـيـم الـعـطـار، قرأ عليه شرح الشذور، وابن عقيل، وجمع الجوامع ، وتفسير البيضاوي ، وسمع منه دروساً من صحيح البخاري دراية ، والموطأ ، ومصابيح السنة.
وقرأ على الشيخ بكري العطار،والشيخ محمد الخاني،ووالده الشيخ محمد سعيد القاسمي، وكان يحضر دروس الشيخ عبد الرزاق البيطار ، مجدد مـذهـب السـلـف في الـشـام ، وقـد استفاد منه الشيء الكثير.
وكان جميع أساتذته من المعجبين بذكائه ونباهته ، يتوقعون له مستقبلاً مشرفاً ، ويتطلعون إلى ما يتحقق على يديه من نهضة عظيمة لمنطقة أحوج ما تكون إلى الدعاة الذين يدعون إلى الله وفق أصول أصيلة في العقيدة والمنهج والتصور.
لقد اتصف رحمه الله بصفات العلماء الحميدة، فكان سليم القلب ، نزيه النفس واللسان ، ناسكاً ، حليماً وفياً لإخوانه، جواداً سخياً على قلة ذات يده ، يأنس به جليسه ولا يمل حديثه ، حريصاً على الإفادة من أوقاته ولو كانت قصيرة ، فقد جمع مفكرة جميلة حوت من الفوائد واللطائف الشيء الكـثـيـر، "الـسـوافـح" وكان يربي تلاميذه على حب الاعتماد على النفس، وعدم الكسب بالدِّين، والركون إلى الطغاة والظالمين ومسايرتهم على ضلالهم ، رغبة في عَـرَض مـن أعـراض الـدنيا ، ويسـتـشهد على ذلك بابن تيمية ، فإنه عَرَضَ عليه الحاكم منصب قاضي عسكر براتب مغرٍ فأعرض عنها مخافة أن يكون عبداً وأسيراً لها.
وعن آثاره العلمية يقول ولده الأسـتـاذ ظـافر القاسمي في مقدمة كتاب قواعد التحديث عند الترجمة لأبيه: "أما كتبه التي ألفها فقد قـاربـت المئة ، وأقدم ما عثرت عليه من مؤلفاته مجموعة سماها (السفينة) يرجع تاريخها إلى عام (1299هـ) ضم فيها طرائف من مطالعاته في الأدب، والأخلاق، و التاريخ، والشعر، و غير ذلك، وله من العمر ستة عشر عــامـــاً، ومضى يكتب ويكتب إلى أن عجب الناس من بعده كيف اتسع وقته- ولم يعش إلا تسـعــة وأربعين عاماً -لهذا الإنتاج الضخم ، فضلاً عن تحمل مسئولية الرأي ، وترجيح الأقــوال ومناقشتها ، والرجوع إلى المصادر ، وفضلاً عن أعبائه العائلية ، فلقد كان له زوج وسـبـعة أولاد،وفضلاً عن إمامته للناس في الأوقات الخمسة دون انقطاع،ودروسه العامة والخاصة، وتفقده للرحم ، ورحلاته ، وزياراته لأصدقائه ، وغير ذلك من المشاغل(3).
ومن مؤلفاته رحمه الله: محاسن التأويل: وهو تفسير للقرآن الكريم امتاز بأنه ينقل من كل تفسير خير ما فيه على منهج السلف ، وهو مطبوع (17) جزءاً.

(دلائل التوحيد ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، قواعد التحديث من فنون مصـطـلح الحديث ، شذرة من السيرة النبوية ، رسالة الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس ، كـتـاب المسح على الجوربين ، تعطير المشام في مآثر دمشق الشام ، حياة البخاري ، شمس الجمال على منتخب كنز العمال ، ميزان الجرح والتعديل ، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين) وغيرها من الكتب والرسائل والمقالات.

وكان للقاسمي رحمه الله ميول شعرية فمن نظمه ما كتبه في دلائل التوحيد:

أدلة في وجود الحق قاهـــــــــــرة راحت لها شبه الإلحاد منكســــــرة
الحق يعلو ولا يعلى عليه فمـــــــن ناواه كانت جنود الله منتصــــــرة

ونظـــــــم يرد على بعض الجاحدين الذين اتهموه ووشوا به إلى الوالي :

زعم الناس بأن مذهبي يدعى الجمالي وإليه حينما أفـتي الورى أعــزو مقالي
لا وعمر الحق إني سلفي الانتحـــال مذهبي ما في كتاب الله ربي المتعالي
ثم ما صح من الأخ بار لا قيل وقـــال أقتضي الحق ولا أرضى بآراء الرجال

وهـنـاك جـوانـب مـشـرقـة، كان يـتـصـف بها الشيخ القاسمي رحمه الله، حـري بـالدعاة وبالمصلحين وبطلاب العلم أن يتحلوا بها: إنها عفة اللسان والقلم،وسعة الصدر،ورحابته، وبشاشة الوجه وطلاقته ، فقد كتب ولده الأستاذ ظافر القاسمي عن هذا الجانب فـيـقـول: "عرف عن القاسمي أنه كان عف اللسان والقلم ، لم يتعرض بالأذى لأحدٍ من خـصـومـه ، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة ، أو في مجالسه وندواته ، وكانت له طريقـتـه في مناقشة خصومه، لم يعرف أهدأ منها، ولا أجمل من صـبـره، وكـثـيـراً مـا قـصـده بعض المتقحمين في داره، لا مستفيداً، ولا مستوضحاً، ولا مناقشاً ، بل محرجاً ، فكان يستقبلهم بصدره الواسع ، وعلمه العمـيـق ، فـلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أفحم وامتلأ إعجاباً وتقديراً (4).

وكانت وفاته مساء السبت 23 جمادى الأولى سنة 1332 هـ ودفـن فـي مقبرة الباب الصغير بدمشق. لقد كان رحمه الله عالماً قدوة له أثر طيب في نفوس معاصريه وطلابه ، وترك آثاراً علمية نحن أحوج ما نكون إليها في هذا العصر الذي قل فيه العلم والـعـلـمـاء مع تـعـطـش الأجـيـال الإسـلامـيـة وحاجتها إلى الموجهين والعلماء الربانيين. ((أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

1- انظر ترجمته في: تاريخ علماء دمشق ، الأعلام للزركلي ، مقدمة قواعد التحديث ، ترجمة لحياة القاسـمـي لولده الأستاذ ظافر القاسمي ، شيخ الشام جمال الدين القاسمي ، محمود مهدي الاستانبولي ، مقدمة محاسن التأويل.
2- شيخ الشام جمال الدين القاسمي ، الأستانبولي/44.
3- مقدمة قواعد التحديث / 31.

4- قواعد التحديث / 31.

حتى داخل جدران بيتك

عبد الحميد إبراهيم

غير مسموح لك أن تلقن أولادك ما تشاء من الأخلاق ، وتنشئهم على ما تريد من التربية ، ولا نريد أن ندخل فـي جـــدل قد يطول حول هل للأب دور في تنشئة أولاده على أخلاق معينة أم لا!هذه هي النـتـيجة لفقرة من برنامج إذاعي سمعته من إحدى إذاعتنا العربية ، وهذا البرنامـج مخـصـص لـمـشـاركـة جمـهـــور الـمستمعين في إيجاد الحل لبعض مشاكل المستمعين الاجتماعية.

فقد عرض مقدم البرنامج ثلاث مشكلات ، مختارة اختياراً خاصاً ، وقدمت تقديًما موجهاً على لسان ممثل،أو ممثلة،وسوف أختار مشكلة واحدة، وأعيد روايتها باختصار، وأحاول أن أضيف وجهة النظر الأخـرى التي لا يحب معد البرنامج أن تذكر فيتجاهلها تجاهلاً ، وغطاها بقدراته (الذكية) التي اختير لتقديم مثل هذا البرنامج على أساسها ، وبالإمكانات الموضوعة تحت يديه.

فتاة في السابعة عشرة من عمرها، متفوقة في رياضة معينة، ومـشـاركــة فـي مباريات على المستوى الوطني ، والفرصة متاحة لها كي تشارك في مباريات دولية ، ولكن حينما تعرض الأمر على أبيها ، يضع اعتراضه على أن تسافر من أجل ذلك ، فتلح عليه وترجوه ولكنه يـبـقـى عـنـد رأيه ، ومع أن رأيه هذا غير ملزم لها واقعياً وقانونياً؛ لكنه من الـنـاحـيـة الأخلاقية والدينية له اعتباره ، وهكذا كان التعليل الذي قدم ، وكأن الأخلاق والدين أمر طارئ على المجتمع وقوانـيـنه ، وبلية تراعى لكونها بلية ومصيبة فقط ، وأخيراً يخيرها بين أن تسافر لهذه الغاية وتـضـحي برضاه عليها ، وبين أن تكتفي بما حصلت عليه على المستوى الوطني ، وتلتفت إلى دراستها.

وهنا يطلب إلى المشاركـيـن أن يـدلـوا بآرائهم: هل يشجعون البنت أن تضرب برأي والدها عرض الحائط وتذهب حيث تشاء؛أم ينصحونها أن تقف عند ما يريد أبوها؟.

خرج أربع إناث للتعليق :

كانت الأولى والثانية مسؤولتان في رعاية الشباب بالجامعة واتفقتا على أن تشارك الفتاة في المباراة الدولية ، والتـسـويـغ الذي استندتا إليه أن المشاركة في البطولات الرياضية خارج البلاد تكون تحت إشـراف ورعـايـة من القائمـين على هذا الشأن ، وأنه لا داعي للتشدد والتمسك من قبل الوالد برأيه ، لأنه بذلك يقف عقبة أمام طموحات ابنته ، ويحرمها من فرصتها، وربما

انعكس ذلك على نفسيتها بالمشاكل والأمراض ، من جهة أخرى فإنه سيئ الظن بالمسؤولين.
تقدمت الثالثة وهى - من صوتها - تبدو لا مبالية، ومتروكة هكذا، دون تـربـيـة بـيـتـيـة صحيحة. وقالت: أنا رأيي أن تسافر ولا تلتفت إلى رأي والدها وعـنـدما رد عـلـيهـا مـقـدم البرنامج : بأن ذلك سيغضب والدها منها قالت: إنه سيغضب لمدة قـصـيـرة ، وسـيـرضـى عنها بعد ذلك. ولما قال لها المقدم: وهل تحبين أن تغضبي والدك ، قالت: أنـا أفـعـل مـا أشاء ثم آتي والدي وأقول له: يا بابا أنت قلبك كبير وحنون والخ فيرضى عنى وتـنـتـهـي القضية !.
وتقدمت الرابعة بحل (يتزيا بزي الحكمة والتعقل كتسوية للموضوع!) وقالت: تفعل كل ما يمكنها من أجل إقناعه حتى تسافر وهو راض عنها ، فأجابها المقدم: ولكن قد لا يقـتـنـع ويرفض كل المحاولات: عندها قالت بعد كل هذا لكون الذنب ذنبه، لأنه لا يقبل المنطق، وإذا خالفته وذهبت لا تلام!.
عند هذه النتيجة بدا أن البرنامج قد وصل ذروة التشويق ، وحقق غرضه ، فالتـفـت مـعـد البرنامج إلى حَكَمَ يفض النزاع وكان موظفاً رسمياً كبيراًـ والحق أن هذا الموظف - كما بدا - لا يزال يحمل بين جنبيه أثارة نفس تميل إلى الإنصاف - وإن كان ذلك على استحياء، أو قل: على خوف من النتائج - فقدم رأيه بصورة رجاء إلى البنت محفوف باستثارة عاطفتها فقال: أنا رأيي أن لا تسافر ، ولا تتسبب في إغضاب والدها عليها، وإذا كان ذلك سيؤدي إلى حرمانها من فرصة الفوز؛ فأنا واثق أنها بطاعتها لوالدها ستـعـوض هذه الفرصة المتاحة وسيحالفها التوفيق . وهنا ختم معد البرنامج هذه الفقرة بموافقته على هذا الرأي ، لكن من دون أن يترك التعقيب على ذلك بما يظهر أنه غير مقتنع داخلـيـاً ، وقـدم تعزيـتـه للفـتاة على هذه الخاتمة فقال ما فحواه:
الأستاذ فلان وضع النقاط على الحروف ونحن نضم صوتنا إلى صوته ونقول لـلفـتـاة بـنـت السبعة عشر : اسمعي كلام والدك وإذا أدى ذلك إلى ضياع الفرصة عليك ، والتـضـحـيـة بطموحاتك ، فلا بأس؛ فالإنسان تضيع من أمامه فرص كثيرة في الحياة ، وجايز(!) أنك لن تفوزي في المباراة الدولية، وجايز(!) أنه سيكون لك مستقبل زاهر آخر في غير الرياضة.

ملاحظات عامة على هذا البرنامج:

1- ينتقى هذا البرنامج قضايا خاصة لتخدم هدفا محدداً.
2- أسلوبه في طرح الآراء أسلوب انتقائي موجه.
3- يشيع الآراء التي تخـالـف ما هو سائد في المجتمع من أعراف وتقاليد نابعة من الدين والعقيدة.
4- يعرض الآراء الإسلامية مشوهة أو محرفة ويفسرها على هواه.

5- كثيراً ما يجعل السلوكيات الطارئة والمنحرفة هي الأصل ، وما عداها هو الشاذ السلبي الذي ينبغي أن يحارب.

ملاحظات خاصة بهذه الفقرة المعروضة:

1- عدم الحياد في انتقاء الشخصيات الأربع لإبداء رأيهن، مما أعلى إيحاءً بأن المجتمع بأسره لا يوافق الأب في موقفه من سفر ابنته وهذا غير صحيح.
2- أظهرت حجة المسؤولين من رعاية الشباب أن سلوك الأب ليس خطأ شخصياً فحسب، بل هو غير قانوني أيضا وينطوي على مخالفة القوانين العامة وهي إساءة الظن بمؤسسات الدولة.
3 - وكذلك أوحت حجة هاتين المسؤولتين- وبوضوح - أن الأب يسيء استعمال مسؤوليته كأب ، حيث يقف أمام سعادة ابنته، ويسبب الشقاء لها. وهذا مما يشجع البنات والأولاد على عصيان والديهم مهما كانت الحجج التي يستندون إليها في منعهم من بعض الأعمال لأنهم يتحولون في نظرهم من آباء مهمتهم توفير السعادة لأبنائهم إلى جلادين أو مستبدين جالبين للشقاء.
4 - وضع حجة الولد مقابل حـجـة الـوالـد فـيـهـا ما فيها من الإجحاف والظلم في إظهار أمرين لا يطابق ولا يساوي أحدهما الآخر على أنهما متطابقان متساويان. .
إن اللاشعور أو اللاوعي عند المستمع سيرتفع بحـجـة الـولـد؛ بينما سينحط بحجة الوالد حتى يتسنى له أن يوازن ويقارن - وهذا الفعل له أثره على شريحة عريضة في المجتمع، وهى التي تبدأ من سن التمييز حتى سن الرشد العقلي ، شاءت أم أبت -.
5- جواب الثالثة يوحي بأنها تستند إلى حقيقة مستمدة من الواقع (فهي واقعية) ، وهذه الحقيقة هي أن غضب الوالد على ولده ، غضب من نوع خاص ، ليس كأي غضب آخر في بواعثه وأهدافه ، إن شئت فقل: غضب مصطنع ، يصطنعه الإنسان من أجل تربية أبنائه الـتـربـية الصـحيحة، ويجـنبهم النتائج المؤلمة التي قد تختفي عن أنظارهم وهم في حمى اندفاعهم ، فهو شفقة لابسة ثوب غضب وحرص وضن بشيء ثمين يخفيه صاحبه بهذا الغطاء تمويهاً ، وهذا النوع من الأولاد الأذكياء يستغلون هذه الحقيقة استغلالاً سيئاً يعود عليهم وعلى المجتمع بأسره بالفوضى) والاضطراب ، ويساعدهم على ذلك أن آباءهم - نتيجة ظروف نفسية وضغوط من الواقع - ضيعوا تأثير هذا السلاح التربوي بضعف الإرادة ، وبالتطرف في (التدليل) فتمخض عن ذلك موجة كاسحة من الأهواء المنطلقة التي يصعب كبحها ، وكان أن بدأت تتحلل سلطة البيت شيئاً فشيئاً ، وتخلى المكان ، وتلقي القياد لسلطة الشارع التي أنتجت خليطاً غير متجانس يبعث الغثيان ، ويشهد على مسببه بالفشل العام.
6 - جواب الرابعة يشر أن الأب بعيد عن المنطق والعقل ، يحتاج ما يصلحه ويعيده إلى رشده. وإذا علمنا أن نظرة الأب هذه تستند إلى أصل مستمد من

أحكام الإسلام ومن تعاليم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أن »المرأة لا تسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا ومعها ذو محرم« ، وأنها لا تخرج من بيت وليها أو زوجها دون إذن منه وإلا لضرورة ، وأن الضرورة تقدر بقدرها ، وأن الإسلام لا يجيز ولا يبيح هذا الانطلاق السافر ، وهذا الاختلاط الذي لا ضرورة له باسم الفن تارة ، وباسم الرياضة تارة أخرى؛ وبإضفاء صفات البطولة على مثل هذه الأعمال التي هي في ميزان الإسلام فساد ، وأشر ، وبطر ، وانفلات - إن لم نقل غير ذلك -: إذا علمنا أن نظرة الأب تستند إلى هذه القواعد أو إلى بعضها على الأقل؛ فهذا يعنى أن كل هذه القواعد والأحكام مخالفة للعقل والمنطق ، وسينتج عن ذلك بالضرورة أنه حيثما كانت أحكام إسلامية وإرشادات ربانية ، وتوجيهات نبوية فلا عقل ولا منطق ثّم ، وأن العقل والمنطق في اتجاه غير ذلك الاتجاه.

7 - جواب الموظف الرسمي الكبير يظهر أن كثيراً من المسؤولين يتمتعون بحس من المسؤولية ، وأنهم لو أتيحت لهم الفرصة لأظهروا أنه ليس من مصلحة أي نظام أن يشجع على الانفلات والتمرد على سلطة الأسرة ، ولكن هؤلاء غالباً ما يحجزهم الخوف عن المجاهرة بالآراء الحقة.

8 - إن نتيجة البرنامج النهائية تبين أن كثيراً من المشرفين على البرامج الإعلامية يستغلونها استغلالاً بشعاً لإظهار وجهات نظرهم الخاصة ، وحجب وجهات النظر الأخرى بحيل مستترة أو مكشوفة ، وليست هذه الآراء متطابقة بالضرورة مع وجهات النظر الرسمية ، أو تمثلها تمثيلاً صحيحاً ، وهذا يشير إلى مرض آخر مستشرٍ في حياتنا الثقافية والفكرية يعيقنا عن إنجاز النافع ، واستبعاد الضار ، ويمنعنا من التفكير في مشاكلنا وحلها بأسلوب علمي بعيد عن التحيز والمداراة والتعصب لما يوافق الهوى ، نعني مرض الشللية والمحسوبية ، فعلى الرغم من التغني بمحاربة الروح العشائرية والطائفية والحزبية والمحسوبية ، وإبعاد غير الأكفاء عما لا يحسنونه من الأعمال؛ فإن هذه الأمراض وأشباهها تفتك من وراء ستار ويضيع في دخانها الإنصاف والعدل ، ويصنف الناس على أساسها ، فيقدم بعضهم ، ويقصى الآخر.

إن هذه البرامج المبنية على التحريف والتشويه والبتر لا تثمر في المجتمع إلا اضطراباً ، لا تؤصل فكراً ، ولا تقوم سلوكاً ، بل لا تزيده إلا تمزيقاً وانقساماً وتوتراً ، فإذا كان يظن معدّوها أنهم يستهدفون الإصلاح فقد ضلوا الطريق ، وإذا كانوا يقصدونها قصداً ، ويعرفون ما تؤدي إليه ، ويصرون على ذلك؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

المسلم قارئاً ومثقفاً

جاسر الجاسر

القراءة عمل إيجابي بلا شك لأنها أول وأهم المراحل التي ينفض بها الإنسان غبار الجهل من رأسه ليحل محله نور الـمـعـرفة وضياؤها ، وهكذا تكون القراءة معرفة ونمواً ، وتكون وعياً ونضجاً ، فكل خطوة يخطــوها الـقــارئ تصـبـح فيما بعد سلماً إرشادياً يساعده على وضوح الرؤية ودقة الحكم ، ويظل نضجه العقلي يـتـنـامى بصورة مطردة ليصبح بعد ذلك محكاً حساساً وصادقاً لكل محاولة تضليلية وكل محاولــة غزو خارجية أو داخلية ، وهنا نستطيع أن نسمي القارئ مثقفاً.

وهذا يعنى بداهة أن كل قارئ ليس مثقفاً لأن بعض القراء رغم فهمهم للمعرفة ، وحرصهم على استمرار القراءة يفتقدون حساً نقدياً أولياً يستطـيـعـون من خلاله تجنب الغث أو على الأقل إدراك غثاثته أو خطورته إن كان مضاداً ، ومثل هؤلاء القراء تكون قراءاتهم -إلا ما شاء الله - ضرراً عليهم وعلى غيرهم لأنهم يصبحون مجرد أبواق مضخمة لهجمات شرسة مضادة دون وعى منهم أو إدراك ، وإنما بسبب اندفــاعـهـم الأهــوج ، وافتقادهم التكوين المعرفي الأصيل والضروري للتعامل مع ا لأشياء.

وهذا خطأ وقع فيه عدد كبير ممن يطلق عليهم تجاوزاً المثقفين المسلمين، والـذيــن تـكــون قراءاتهم واختياراتهم كحاطب الليل.

والـمـشـكـلـة أن هؤلاء عادة يصبحون مسئولين أو مشرفين أو تربويين أو إعلاميين بحيث يستشري خـطـرهم ، ويعظم ضررهم فيجرفون معهم أجيالاً من الشباب الذين تعاملوا معهم كمصادر أصلية ومباشرة للمعرفة ، ولكن الرائد في هذه المرة كذب أهله.

يجب بدءاً أن نـقـول أن الثقـافة التزام ، بمعنى أن المثقف فرد يتحرك من منطلق ثابت ، ويستند دائماً على إطار مرجعي ثابت ، يرجع جميع القضايا والمشاكل التي تعرضه إليه ، ويمرورها من خلاله -أقصد من خلال الإطار- حتى يعرف صلاحيتها من عدمها.

وهو دائماً ثابت في موقفه ، فخور بالتزامه ، حريص على عرض قضيته والدفاع عنها ضد كل هجمة.

وحتى يصبح الإنسان مثقفاً فلابد أن تكون قراءاته منذ البداية موجهة بما يتناسب مع تكوينه الفكري الأساسي ، بمعنى أن المسلم لكي يكون مثقفاً فلابد أولاً أن يكون تكوينه العقائدي سليماً وقوياً ولابد أن يستشعر معنى وأهمية كونه مسلماً صحيح الاعتقاد ، وهذا يعنى أن تكون قراءته الأولية تأسيسية حتى يتعرف على جوانب دمه بشكل كامل وأن يعرف ما يراد به ، لأن استشعار الخطر هو أول ضمان على سلامة الخطوة القادمة.

ولابد أن يكون فخوراً بهذا الانتماء وأن يشعر بتميزه وتفوقه وأفضليته ومهما كانت الظروف الظاهرية توحي بغير ذلك ، لأن الاعتقاد النفسي بالتفوق هو المقدمة لقلب وتغيير مثل هذه الظروف ، ولابد أن يكون مقتنعاً بعمق بأن

الأفراد الآخرين قد يقعون في الخطأ ، ولذلك فإنهم ليسوا مصدراً مأموناً في كل الأحيان ، وإنما يجب أن يقرأ لهم بحذر وترصد فإن الكلمة الخاطئة قد تصبح فيما بعد نواة لقناعة مغايرة ، وهذا أمر يتساهل فيه معظم المثقفين حتى تدور عليهم الدائرة.
وهكذا فإن المثقف المسلم يعي بحدة معنى إسلامه ، وأنه يجب أن تكون خطواته وفق النسق الإسلامي ، بمعنى أنه لا يمكن أن توجد قضية يمكن معالجتها وفق منهج مغاير للإسلام لأن هذا الأمر ليست له سوى دلالة واحدة: الانحراف.
إن مما تشتمل عليه الحياة الفكرية في العالم الإسلامي نوعين من المثقفين: مثقف ارتدادي التفكير. ومثقف إمعة. وكلا النوعين خطر على الأمة ، فالمثقف الارتدادي فرد يتخذ العلمانية موقفاً صريحاً وإطاراً مرجعياً ، وهو يعي حتماً ما يفعل ، بل إنه يفعله بقصد وتخطيط ، ويسعى للهدم الصريح تحت اسم الثقافة والتجديد والتطوير!!.
ويزعم هذا المثقف أن الحضارة الغربية بكل إسقاطاتها وبكل انحرافاتها ملك للإنسانية ككل ، وأنها تمثل أرقى ما توصلت إليه البشرية في مجال الفكر والإبداع (!!) وأن الوسيلة الوحيدة لتقدمنا هي أن نلحق بركابهم ، ونتعلق بأذيالهم ، حتى لو دخلوا جحر الضب لوجب علينا أن نتبعهم ، لأنهم أدلاء هذا العصر ومرشدوه ، ومن تخلف عنهم تاه وضاع.
وهذا النوع من المثقفين يختبئ تحت مظلة المنافقين ، فيبطن الشر ويظهر الخير حتى يتمكن من بث سمومه ، ويتخذ من الحرية ستاراً ، ويدعي أنه يجب علينا معالجة مختلف القضايا بمرونة ، فلا نسمي القصص الجنسية عهراً ودعارة ، ولكنها أدب راقٍ وفن رفيع! وللأسف فإن أكثر من تعج بأسمائهم الصحف والمجلات ويطفون على سطح الثقافة العربية هذه الأيام هم من هذا القبيل يشيعون الأفكار الدخيلة ، ويسفهون أصول الثقافة الإسلامية ويسخرون من الدعاة إلى الحق ، وينشرون الفوضى والفساد في أذهان الناشئة التي حيل بينها وبين الينابيع الفكرية الصافية.
وهكذا يتحرك المثقف الارتدادي بكل سهولة ويسر بل وبترحاب أيضاً ، ويكون تحت الأضواء مما يسهل له بث سمومه ونشرها بين قطاع كبير من الشباب.
أما المثقف الإمعة فهو لا يمحص قولاً ولا يرد حرفاً ، والحق أنهم ليسوا مثقفين حقاً لأنهم لا يملكون رؤية ثابتة محدودة يتحركون من خلالها ، ولأن مواقفهم مائعة ومتناقضة ، بل إنها أحياناً متغيرة حسب تغير وتبدل المدارس الفكرية التي يغترفون منها.
ويفتقد المثقف الإمعة الوعي ، لأن الوعي إمكانية إيجابية يتجاوز المرء بواسطتها مكامن الخطر ومزالق الضياع ، ويعاني الإمعة من "مركب نقص" فيشعر أن القوة والمنفعة للآخرين أعني الأوربيين على وجه الخصوص ،

ويتصور بحسن نية وسذاجة أن مناهجهم الفكرية هي الأصلح والأنسب لهذا العصر ، ويظن أنه من الممكن أن يسايرهم ويتابعهم حتى يستقل ثم بعد ذلك يرجع إلى دينه ، وهذا غباء مركب ، ومثل هذا لا يرجى منه خير ، لأن من شك في صلاحيته وقوة منهجه الإسلامي فكأنما شك في أنه من عند الله ، وهكذا يمرق من الدين ، وإذا ظن مسلم ذلك فهو ليس بمسلم ولا يمكن أن يكون فاعلاً ونشطاً في خدمة الإسلام ، بل إن المذاهب الأخرى هي التي تستفيد منه ، ويكون بين ظهرانينا كأنه طابور خامس ، بل أسوأ من ذلك أحياناً .
وحتى لا نكون متشائمين فإن فئة مخلصة تكافح عن هذه العقيدة ولكنهم يتعرضون للهجوم من الطائفتين السابقتين ، فالارتداديون يدركون خطرهم وقوتهم ، ولذلك يهاجمونهم بعنف أما الإمعات فإنهم يعتقدون أن هذه الفئة المخلصة تسيء إلى الفكر الإسلامي وتحط من منزلته في نظر الآخرين! وبالتالي يعترضون طريقهم.
ولكنها فئة مؤمنة ، تعرف أن تجاهد في سبيل الله ولذلك لن يثنيها عن عزمها شيء وستواصل طريقها بإصرار وكفاح وقوة ، ويجب على هذه الفئة المؤمنة أن تهتم بالنشء من أبناء المسلمين وأن تأخذ بأيديهم حتى لا يجرفهم التيار المدمر.
إننا نواجه في هذه الفترة تحديات خطرة ، وما لم يكن تكويننا العقائدي سليماً فالله وحده أعلم بما سيؤول إليه مصيرنا.

لمحات في إصلاح النفس

عثمان جمعة ضميرية

دعوة الإصلاح والتغيير:

إن الدعوة الإسلامية التـي حمـل لـواءهـــا خاتم الأنبياء -صلى الله عليه وسلم- ، لم تكن دعوة إلى إصلاح جزئي يعالج انحرافاً مـعـيـنـــاً وقع فيه المجتمع فاحتاج إلى عملية ترقيع أخلاقية أو اجتماعية تنقذه من الهاوية التي تــردّى فـيـهــا أو أشرف على الهبوط فيها ، عندما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.
ولكن هذه الدعوة الخاتمة ، جعلها الله تعالى دعوة تغيير شـامـــل لـما بالنفس والمجتمع، لينشئ بذلك أمة خيرة فاضلة. ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [آل عمران: 110].
وجعـلـهــا أمة قائدة رائدة وشاهدة على الأمم الأخرى ، لأنها هي الأمة الوسط العدل فـي عقيدتها ومنهجها:((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)) [البقرة:143].

عملية بناء الأمة:

هذه الأمة التي تبث الخير ، وتحمل الحق إلى العالم كله ، ليثوب إلى دين الله الواحد ، لم تكن عملية بنائها وتربيتها عملية سهلة ، هينة لينة ، ولم يكن الطريق إلى ذلك قفزات سريعة ، يـسـتـعـجــل فيها الداعون الوصول إلى الهدف المنشود. ولكنها كانت عملية بناء متكامل ، يبذل فيها المسلمون الجهد والعناء ، ويصبرون على أشواك الطريق الذي يسيرون عليه بخطىً متئدة مـتـدرجــة ، كل خطوة تسلمهم إلى تاليتها ليكونوا بذلك على الجادة المستقيمة من الطريق بعد تلك المجاهدة والمصابرة: ((والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)) [العنكبوت:69].

أثر الفرد في الإصلاح:

فلم يكن عجباً -والحال ما ذكرت - أن يبدأ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بوحي من ربه في تربية الأمة كلـها بتربية أفرادها أولاً ، فالفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع ، فليكن هو نقطة البدء فـي الإصــلاح والبناء .. فإن إصلاح مجموعة من الأفراد في كل بلدة، إصــلاحـاً يجـعـلـهـم أئمة في الهدى والخير والاستقامة هو الذي يؤدي إلى استقامة شؤون البلدة كلها ونظافة حياتها الاجتماعية..

الرسول -صلى الله عليه وسلم- يربي جيل مكة:

وظل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يعني بتربية أفراد من أمته ، حتى إذا اجتمع له منهم عشرات ، شرع في بناء الدولة الصالحة والحضارة الإنسانية... إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن مسعود.. وأمثالهم من الرعيل الأول ، هم الذين أقاموا صرح الدولة الإسلامية والحضارة المؤمنة المشرقة ، وهم الذين كان يجتمع إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شعاب مكة وفي دار الأرقم ، وفى فناء الكعبة ، يقوي أرواحهم ، ويصقل نفوسهم ، ويهذب أخلاقهم ، حتى إذا مضى -صلى الله عليه وسلم- لربه تعالى والتحق بالرفيق الأعلى ، كان لهم في التاريخ شأن أي شأن! وكان لهم في هداية البشرية نصيب وأي نصيب (1).

التأثير بين الفرد والمجتمع:

ومن سنة الله تعالى في الحياة الاجتماعية أنه لا يتم تغيير ما بالمجتمع حتى يبذل المرء جهده في عملية التغيير النفسي أولاً : ((إنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد:11] . وهذا التغيير والتزكية للنفس هو مفتاح الفلاح وسبب الفوز:((ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا))[الشمس:7-10] ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى * وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)) [الليل:5-7].

فلا صلاح لمجتمع إلا بصلاح أفراده ، ولا صلاح للفرد إلا بتهيئة المناخ الطيب النظيف ، فهناك علاقة متبادلة بين هذا وذاك ، ولعل في هذا إشارة إلى واحدة من الحكم الكثيرة التي تتجلى في دعامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لتكوين الرأي الفاضل والمجتمع النظيف ، الذي يعرف المعروف ويدعو إليه ، وينكر المنكر ويحذر منه.

الطريق العملي للإصلاح :

ولعلك تتساءل -أيها المسلم الغيور- عن الطريق العملي لهذا الإصلاح الذي ينشده الإسلام للفرد ، ليكون خطوة على طريق الإصلاح الشامل للمجتمع الإنساني كله؟

* وما أظن أن أحدا ينازع في أن الخطوة الأولى في بناء النفس وإصلاحها ، هي التي تقوم على التوحيد المطلق لله سبحانه ، وأن يشعر الإنسان بعبوديته الخالصة لله سبحانه ، فيمتلئ قلبه محبة وإجلالاً لله ، ليدفعه ذلك إلى طاعته واتباع أوامره ومتابعة نبيه تتتت: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة:21]. ((اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)) [الأعراف:3].

وقد فطر الله تعالى الإنسان على التوحيد:((فِطْرَتَ الله الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله)) [الروم:30].

ولن يقبل الله تعالى من إنسان دينا غير هذا الدين:((إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسْلامُ)) [آل عمران:19] ، ((ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) [آل عمران:85].

وهذه هي العقيدة التي تحرر صاحبها من الوهم والخرافة ومن العبودية للهوى والشهوة والشيطان ، لتجعله عبداً لله تعالى وحده ، فيشعر عندئذ بحريته الحقيقية وإنسانيته الكاملة.

* وهذا القلب الذي أصلحته ليكون سبباً لصلاح الفكر والشعور والجسد ، سيكون قلباً حياً حساساً ومحكمة داخلية في نفسك ، تشعرك بالمسؤولية ، وتدفعك إلى القيام بالواجب ، فتنصف من نفسك لغيرك ، وتترك الانتصاف لها من الغير ، فإن فعلت ذلك كنت أحسن الناس خلقاً وأطيبهم معاملة ، فغدوت أحب إليهم من نفوسهم وأقرب إليهم من أقاربهم ، وهذه هي الخطوة الثانية على الطريق.

* ويبقى أمامك أن تعود إلى هذه النفس فتجملها بالمعاني الفاضلة وتحملها عليها - ان استعصت عليك - وإلا فإنها ستنبع من نفسك وتفيض على الآخرين من حولك . فإن العقيدة لابد أن يظهر أثرها في الأقوال والأعمال ، فهي المرآة التي ينعكس فيها سلوك الإنسان ومعاملته لربه سبحانه ، وللناس من حوله ، وإلا كانت عاطفة فائرة ، أو مستسرة في القلب ، أو كلمات يديرها الإنسان على لسانه ، لا تجاوز الحنجرة ، وأصبحت أماني لا تنفع صاحبها:

((ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)) [النساء:123-124].

الهوامش :

1- انظر: أخلاقنا الاجتماعية للشيخ مصطفى السباعي رحمه الله.

منبر الشباب

وجهة نظر

أبو زكريا عباس

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على هــذه الأمــة أن جعلها أمة وسطاً ، وهو شرف يجب أن يحافظ عليه المسلمون ، حتى لا تغرق سفـيـنــة الأمة في بحار الفتن ، ولا تضطرب بأمواج الفرقة والشقاق. إلا أن هذا الشرف -وللأسف الشديد- قد ضاع فيما ضاع من خصائص هذا الدين ومقوماته ، حتى أصبح اختلال التوازن وعــدم الاعتدال والحيدة عن الوسطية سمة مميزة للمسلمين ، وخصوصاً في العصر الحاضر ، ولـقــد حـدث هــذا بتأثـير من قوتي شد وجذب ، إحداهما جنحت إلى التفريط ، وهو تقصير في أداء الواجب مذمـــوم ، والأخرى جنحت إلى الإفراط ، وهو غلو منهي عنه حتى في شعائر التعبد.

ثم نتج عن هذا تخلخل بناء الإسلام الكامل ، حتى أصبحت كثير من الـمفاهيم الإسلامية أشلاء متناثرة على أرض الإسلام لا تمثل شيئاً من حقيقته في واقع المسلمين.

ومن المؤسف جداً أن يسري هذا الداء العضال إلى كيان الدعوة المتماسك وبـنـيـانه المرصوص ليـنـخـر فـيــه كما ينخر النمل الأبيض في الورق العتيق ، حتى يفقده صفة تداعي سـائـر الأعضاء لشكوى العضو الواحد .

حدث هذا حتى فـي صفــوف الـدعـــاة المخلصين حينما فقدت نظرية النسبة والتناسب في أساليب الدعوة من أجل البناء المتكامل الـمـتـيـن . ومن هنا تشعبت الطرق واختلفت الموارد وتعددت المناهج للدرجة التي تجعل اللبيب حيران ، والطبيب الماهر عاجزاً عن تشخيص الداء ، ناهيك عن معرفة الدواء.

فتارة تكون مصيبة المسلمين في حسه هي مجرد جهلهم بهذا الدين ، وعدم النضج الفكري الذي ينشئ لديهم القناعة التامة بدينهم ، ولذلك فالعلاج الذي ينبغي أن يوصف في مثل هذه الحالة هو عرض نظرية الإسلام وحقائقه وأصوله العامة ، وكشف القناع عن زيف الحضارة الغربية الكافرة ، وفضح المخططات اليهودية الخبيثة ، وفضح عوار السياسة ، وحبائلها؛ حتى يتضح الصبح لذي عينين ، ويتسنى للمسلمين القناعة الفكرية بما يملكون من كنوز

السعادة ، ومفاتيح القيادة ، التي تجعلهم بحق خير أمة ، وبعدها يصبح السلوك والتعامل الإسلامي أسهل من شرب الماء البارد!
وهو في نظره تارة أخرى جهل عوام المسلمين وكثير من أبناء الإسلام ، وخصوصاً أهالي القرى النائية والبوادي والبلدان الفقيرة التي أطبقت على أهلها الأمية بأحكام الإسلام الفقهية وأركانه الأساسية ، فهم في أشد حاجة لمن يعلمهم أمور دينهم ، وحينئذ فالعلاج الناجع هو صرف الجهود لتعليمهم وشد الرحال لتدريسهم وتوجيههم.
ومرة ثالثة : أن المشكلة تكمن في الجهل ولاشك ، ولكن المبادئ العامة للإسلام معلومة ومعروفة لدى الكثير من أبنائه ، فلماذا لا يكون هناك الفهم العميق للعلوم الإسلامية وذلك بالعكوف على طلب العلم الشرعي ومعرفة القواعد الفقهية والمصطلحات الحديثية ، لأنه حينما يعكف أبناء المسلمين وطلاب العلم على دراسة العلم ومسائله ، فسوف تحل مشاكلهم الناتجة عن الجهل تلقائياً ، بالإضافة إلى أن العلوم والمناهج الإسلامية بحاجة إلى تصفية وتنقيح حتى يستقي أبناء المسلمين من معين صافٍ صحيح.
ومرة أخرى: ربما يكون هذا تضييعاً للوقت وتبديداً للجهود ، فالعلم ليس كل شيء ، والناس بحاجة فقط إلى تنبيه ووعظ وإرشاد وجلاء للقلوب التي غلب عليها الران ، لأنهم مسلمون ، وقلوبهم طيبة ، ونياتهم حسنة ، ولا يحتاج كبير جهد ، فالعلة فقط هي أنهم انشغلوا بدنياهم عن آخرتهم وبهواهم عن أوامر ربهم ، فلذلك ليسوا في حاجة إلا إلى كلمات الوعظ والنصح والخطب المنبرية التي توقظ القلوب من غفلتها ، وتنفض عنهم غبار الشهوات والشبهات فيعودون إلى الله ربانيين حنفاء.
ومرة رابعة أو خامسة يملي عليه أن مكمن الضعف وسر الانحطاط ليس هذا أو ذاك ، فإن المسلمين ليسوا بحاجة إلى الدروس والخطب فهي تلقى عليهم بكرة وعشياً ، دون أن تغير من واقعهم شيئاً إن الطريق هو الطريق التربوي ، فالمسلمون في أمس الحاجة إلى قدوة حسنة ، وأنموذج عملي يسيرون على خطاه ، وبذلك تستقيم خطوات المجتمع كله - حتى وإن كانوا لا يدركون من العلم إلا قليلا!- والبلسم الشافي حينئذ هو أن يربى شباب الإسلام بخاصة لأنهم عدة الأمة وعتادها بوسائل التربية المختلفة التي تتفق وروح الإسلام في سلوك عملى ، وتعايش واقعي ، حتى يمثلوا القدوة المطلوبة للمسلمين بل وللناس أجمعين!.
وأخيراً يجد من يقول له: ألم تقرأ التاريخ؟ ألم تعرف نقطة الانحراف وبداية خط الانكسار؟ ألم تدر أن المسلمين لم يصبهم ما أصابهم إلا حينما تخلوا عن الجهاد المقدس ، وأعرضوا عن هذه الفريضة العظيمة التي بواسطتها تظهر عزة الإسلام وقوة المسلمين؟ فلماذا - إذاً - تذهب بعيداً ، إن العلاج بين يديك. إنه إحياء هذه الشعيرة والانخراط في سلك المجاهدين في سبيل الله

فإما النصر وإما الشهادة ، وهذه نهاية الأرب وغاية المقاصد... وماذا تريد بعد الشهادة في سبيل الله؟.
ويترك صاحبنا تائها في طريق الصحوة ، لا يدري أين يسير... ومن أن ينطلق.
وهل يترك جميع هذه الوسائل؟ وما هو الحل الصحيح إذن؟ هل يسلكها جميعاً؟ وكيف يتم له ذلك؟ هل يسلك أحدها؟ وماذا يختار منها؟ هل يختار أشرفها وأرفعها في نظره؟ أم يختار أسهلها وأقصرها عليه؟ ولماذا؟ وما هو ضابط المسألة؟ ثم ماذا يكون موقفه بعد ذلك من الطرق الأخرى؟.
والسؤال الأخير الذي نطرحه عليه: أليست جميع هذه الأساليب صحيحة ، وإن كان الخطأ والقصور قد يطرأ على أي منها ، وإن كان الإفراط أو التفريط قد يتسلط على أي منها ، ولعل الجواب يكون (نعم)! ولكن الأمر الذي يندى له الجبين أن تغيب عن أذهان كثير من سالكي هذه السبل تلك الحقيقة ، ويظن كل من سلك طريقا منها-سواء لقناعته به ، أو لميول ورغبات نفسية معينة لديه ، أو لقدرات وملكات وهبها الله إياه ، أو لضرورة الواقع والظروف الزمنى ، ومتطلبات المرحلة ، أو لغيرها من الأسباب -أن هذا فقط هو سبيل الدعوة الصحيح والوحيد . فيظل يدعو إليه ويضخم هذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى ، وربما يحققها ويلقي اللوم على إخوانه السائرين فيها ، بل وربما يدعو إلى حصر جهود المسلمين -كل المسلمين-في رقعة محصورة وزاوية ضيقة فتكون بؤرة مضيئة حقاً ، ولكن حولها هالة كبيرة من الغبش والظلام..
وإنما ظن هذا وأمثاله هذا الظن لغلبة هواه الذي جعله ينظر إلى الأمر من زاوية ضيقة ، أو لأنه يرى أن التوازن والتوافق بين جميع هذه الأساليب ضرب من المستحيل ، وما درى أنها جميعاً روافد تصب في مصب واحد ، وأن الجمع بينها ممكن جداً ، والدليل على ذلك أنه وجد في سلف هذه الأمة من تحققت فيه هذه الجوانب المختلفة ، وهو فرد واحد. فهو المعلم ، وهو الداعية. وهو المربي. وهو المجاهد. وهو الواعظ وهو وهو. إلى غير ذلك ، فإذا أمكن تحقيق هذا التوازن في حياة شخص أفلا يمكن تحقيقه في حياة أمة؟

الفراغ

إسماعيل بن صالح آل عبد الرحيم

أحسب أن المجتمع يستطيع الخلاص من مفاسد كثيرة لو أنه تحكم في أوقات فراغه ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد ، بل بخلق الجهد الذي يستنفد كل طاقة ، ويوجه هذا وذاك إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده ، فلا يبقى مجال يشعر امرؤ بعده أنه لا عمل له.

إن الفراغ في الشرق يدمر ألوف الكفايات والـمـواهـب ، ويـخـفـيـهـــا وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة ، كما تختفي معادن الذهب والحديد في المناجم المجهولة!

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: إني لأرى الرجل فيعجبني ، فإذا سألت عنه فقيل لا حرفة له ، سقط من عيني.

وقال أيضاً: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً (أي فارغاً) لا فـي عـمـل دنـيــا ولا في عمل آخرة..

وقال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه ، وظلم نفسه!

والفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية ، إذ النفس لابد لها من حركة وعمل ، فـــإذا كـانـت فــارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واسـتـولـت الوساوس والأفكار الـرديـئـة على القلب ، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ(1).

وقد نبه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- إلـى غفلة الألوف من الناس عما وهبوا من نعمة العافية والوقت فقال: »نعمتان من نعم الله مغبون فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ«(2).

ويقصد بالفراغ: الخلو من المشاغل والمعوقات الـدنـيـويـــة المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخروية.

وفى الحديث الآخر: »اغتنم خمساً قبل خمس« -وعد منها -»وفراغك قبل شغلك«(3).

يقول بعض الصالحين: فراغ الوقت من الأشغال نعمة عـظـيـمـــة ، وكان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً لا هو في أمر دينه ولا هو في أمر دنياه.. ولهذا قيل: الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة: أي محرك للغريزة.

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع راغ الشباب الذي يتميز بقوة الغريزة والجدة(4) وفى هذا يقول أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة!

ويقول آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شغلاً وأسباب البلاء من الفراغ

ولقد قطع الله تعالى المعذرة لأهل الفراغ بقوله:((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً))[الإسراء:13] فأتاح لهم

التكسب من نعم الله وفضله والنظر في مخلوقاته والتفكر فيها واسترجاع طاقات العقل بما ينفع من أمور الدنيا والآخرة.
ويتعدد أنواع الفراغ يمكننا تقييم الحالات التي يصاب بها الشخص من إهدار الأعمال على هامش المفسدة ، فجعل الله صفة "الفراغ العقلي" للدواب وذلك لأنها غير مهيئة لاستخدام عقلها ، فشابهها الإنسان عندما يعطل دور عقله في تحصيل العلوم النافعة ، وهذا هو سر تمييز عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرجال حين قال : أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خُلُقه(1).
فلابد من إدراك أهمية ملء الذهن بما ينفع ، فإذا عاش الإنسان في فراغ عقلي فإنما كتب على حياته الدمار ، وأما من ملأ عقله بما ينفعه في دنياه وأخرته فالفوز حليفه في الدنيا والآخرة ، وذلك لأنه كان يغذي عقله لما خلق له في تدبر أمر الله جل علاه والحقوق اللازمة له والتفكر في مخلوقات الله كما أمر تبارك وتعالى بذلك حين قال:((وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [النحل: 12].
وأما الفراغ القلبي.. فأوضح الله تبارك وتعالى أن ملء الفراغ القلبي يكون بالإيمان ، وهذا ما أكده ابن مسعود رحمه الله حين طلب منا أن نتفقد قلوبنا في المواطن الإيمانية بقول:"اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القران ، وفى مجالس الذكر ، وفي أوقات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك"(2).
وما عليك في هذه المرحلة إلا أن تقض على هذا الفراغ بتقوية صلتك بالله ، حتى تضع في قلبك إيماناً قوياً ، بدل فراغ قاتل يسمم حياتك.
والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وذلك هو الفراغ النفسي..
فمن أطلق لنفسه العنان تهوي به ذات اليمين وذات الشمال ، فإن هذه صورة تمثل النفوس الفارغة التي صورها لنا سيد قطب بقوله: "إنها صورة (النفوس الفارغة) التي لا تعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد ، وتستهتر في مواطن القداسة..
والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال ، فلا تصلح للنهوض بعبء ولا الاضطلاع بواجب ، ولا القيام بتكليف وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة(1).
فهذه هي حالة النفوس الفارغة. فلا قول ولا عمل ولا إيمان ولا دين همها اللعب واللهو في الدنيا ويتبعه حسرة وندامة يوم القيامة.
إن إدراك الإنسان قيمة الزمن ، وإيجاد الحل للفراغ ليس إلا إدراكاً لوجوده وإنسانيته ووظيفته في ركام هذه الحياة.

فأين الذين قاموا بما تقتضيه هذه الخصال فإن الحساب عسير. يقول الحسن البصري رحمه الله: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم!.
ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.
وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت وتقدير قيمته وخطره ، فإن مما يدمى القلب ، ويمزق الكبد أسى وأسفاً: ما نراه -اليوم - عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير إلى التبديد. حتى يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد أو رقعة الشطرنج ، أو لعب الورق . أو غير ذلك -مما يحل أو يحرم - لا يبالون لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة ، فإذا سألتهم عن عملهم هذا قالوا بعبارة تفقدك الأمل فيهم (نقتل الوقت) ، وما يدرون أنهم يقتلون أنفسهم في الحقيقة ، وسوف يندمون حين يقال لهم:((أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)) [فاطر:37].
إذاً فالفراغ داء قتال إذا لم يمضه صاحبه بما ينفع وإذا أراد الله سبحانه بالعبد خيراً أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد شراً جعل وقته عليه ، وناكده وقته حتى يفقد وظيفته في هذه الحياة.
وأفضل ما تصان به حياة إنسان أن يرسم لها منهاجاً يستغرق أوقاتها ، ولا تترك فرصة للشيطان أن يتطرق إليها بوسوسة ، أو إضلال ، فإن ذلك هو بداية حمل النفس على المتاعب العقلية والبدنية من غير عمل ناجح.
إن المسلم يغالي بالوقت مغالاة شديدة لأن الوقت عمره ، فإذا سمح بضياعه ، وترك العوادي تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش ، والإسلام دين يعرف قيمة الوقت وخطر الفراغ ، ويقدر خطورة الزمن يؤكد الحكمة الغالية "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك" ، وما فشت المنكرات وازدادت حدة العصيان وانتشار الجرائم إلا بازدياد نسبة الفراغ ، ذلك لأنه يفتح على هؤلاء المجانين أبواباً عديدة.. على رأس كل باب شيطان يدعو إلى الرذيلة ، فعند ذلك هل يتحكم الشخص بعقله أمام هذه الأبواب فيربي فراغه على التحصيل والاستفادة أم ينفذ من أحد هذه الأبواب؟! فالزمن نعمة جلى ، ومنة كبرى لا يدريها ويستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ ، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما "نعم أنت خلقت للعبادة والعبادة عمل تستلزم منك عدم إهدار أوقاتها بين الغفلة والكسل..
ويقول الحسن البصري: يا ابن آدم. إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك" ، فالإنسان مأمور باغتنام أوقات فراغه. حتى ولو لم تكن مناسبة للاغتنام ، لأن الأماني والأحلام لا تصنع حاضراً ولا تبنى مستقبلاً ، وهذا ما عناه أحمد بن فارس الرازي بقوله:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويبس الخريف وبرد الشتا
ويُلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي: متى؟

والأيام تنطوي على ما عمل فيها بلا استرجاع إلى يوم القيامة فأهل الفراغ تطوى صحائفهم اليومية معظمها على عتبة الفراغ والبطالة. إن هؤلاء هم أولى بالحجر عليهم من الحجر على أهل إضاعة المال ، فهذا يمكن استرجاعه والتصرف فيه والاستفادة منه أما الوقت فلا!

يقول الإمام الحسن البصري: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة" ولو قلبنا صفحات تاريخنا الإسلامي لوجدناه مليئاً برجال سابقوا الزمان ، وملؤوه بالعلم والمعرفة ، فتخلد ذكرهم وهم بين طبقات الثرى ، كانوا دائماً بين أروقة العلم والعبادة لأن قيمة الزمن عندهم ترتبط بالغاية من الخلق وهي العبادة.

ومع ذلك فإننا نحن الآن لا نبني بفراغنا شيئاً ثمرته خير للأمة والفرد ، لأننا لا نبالي بمرور الوقت الذي استغله وتحكم فيه أعداؤنا ، فمثلاً لقد أهدرنا وقت قراءة القرآن الذي هو الروح لتحريك الأمة وهو مصنع الرجال الأفذاذ.

ولي دعوة في آخر هذا المطاف للشباب لأنهم هم عماد المستقبل ، وهم القوة الدافعة لحضارات الأمم وتقدمها ، وهم أصحاب طاقات جبارة تتفجر في وسط العالم لأنها هي مرحلة الإنتاج ، أدعوهم إلى استغلال هذا الوقت العنفواني المزهر في تربية النفس وصقلها بين أجنحة المواهب ، وصرف الهمم إلى الإنتاج البشري المثمر ، ذلك لأني أرى الكثيرين من شباب اليوم فارغي النفوس والقلوب والرؤوس..فلا علم ولا عمل ، ولا دين ولا إيمان... ولا نرى لهم أثراً على الساحة العالمية سوى الانتصارات الرياضية ، والانخراط في سلك التائهين.. والناظر إلى الغرب وواقع الشباب فيه يدرك مدى الانحطاط الخلقي الذي يغوص في وحله الألوف من أصحاب الصرعات الانحرافية التي بدأ. فيروسها ينتقل إلى طاقات الشباب الإسلامي حتى يعيشوا في خواء روحي وفراغ عقلي. نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

أدب وتاريخ

قصة قصيرة

اليقين

وائل صبري

الحمد لله المعطي والمانع..

قال الزوج هذه الكلمات من أعماق قـلـبــه وهـو يرفع بصره إلى السماء ، متأملاً في نجومها المتلألئة وهي تسبح في بحر كثيف من السواد الداكن..
كان الفرح ينمو ويكبر في ذلك القلب المرهف كـزهـرة تفتحت أكمامها مع بداية الربيع .. وكان الكون كله من حوله يبدو - في عينيه - باسماً أنيساً ملؤه المحبة والفرح والأمل .. وكـان يـشـعــر وكــأن الدنيا بأسرها تزف إليه التهاني مع كل نسمة للأثير في تلك الليلة الجميلة..
كيف لا؟ وقد سـمـع ذلك الخـبــر الذي كان ينتظره منذ سنين.. ينتظره وقلبه مفعم بالأمل والرجاء واليقين. مبارك إن شاء الله.. زوجتك حامل..
كان هذا هو الخبر .. وكانت تلك هـي الكلمات . أما المشاعر فكان لا يعلم وصفاً لحالها إلا الله.
وعاد الزوج إلى البيت .. وفـتـح كـتـاب الله الكريم على الآيات التي كان كثيراً ما يقرؤها ودمعة وحيدة حرى تترقرق في عينيه .. وبــدأ يقرأ:؛((كـّهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِياً * قَالَ رَبِّ إِنِّي وهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ولَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً * وإِنِّي خِفْتُ المَوَالِــيَ مِن ورَائِي وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ولِياً * يَرِثُنِي ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجْـعَـلْــهُ رَبِّ رَضِياً)) ولكن الدموع كانت في هذه المرة تنهمر من عينيه سيلاً مدراراً يغسل وجنتيه الوضيئتين ويخضب لحيته الكثيفة.. وفى يوم الجمعة.. عندما ذهب إلى المسجد.. أشرق وجهه بالبشر والحبور.. وامتلأ صدره بالثقة والأمل.. وهو يسمع الخطيب يتحدث عن الأولاد والبنين ، ويهدر بصوته قائلاً : وكيف لا تفرح أيها الأب بفلذة كبدك وتعتني به . وهــو امـتــداد لسجودك وركوعك وتسبيحك وتهليلك.. وهو قطعة من جسدك تمشى أمامك على الأرض..
وخرج من المسجد ولسان حاله يقول: سأعتني به إن شــاء الله . وسـأعـمـل على أن يكون امتداداً حقيقياً مباركاً لركوعي وسجودي وتسبيحي وتهليلي بإذن الله رب العالمين .
ومـرت الأيــام . وكـان يتردد - أثناءها - بشكل دوري على المستشفى مع زوجه لإجــراء الفحوص الطبية المعتادة.. إلى أن جاء يوم..
- هذا هراء.. غير معقول!!
كان الزوج يقول هذه الكلمات للطبيب - في ذلك اليوم - والنيران تتأجج في قلبه.. ويزيد أوارها أنين زوجه المسكينة التي أذهلها هول الموقف فلم تجد تعبيراً عما في فؤادها المشتعل أصدق من الدموع..
- هذا ليس هراء يا سيدي وهذه هي الصورة أمامك. إن هذا الشيء الذي يسكن رحم زوجك الفاضلة ليس جنيناً.. أنا لم أر في حياتي مثل هذا.. إنه.. إنه يا سيدي شيء أو مخلوق لا يعلم طبيعته إلا الله !!إ. ونظر الزوج إلى الصورة مرة أخرى.. ثم أشاح بوجهه.. فقد كانت الصورة التي أجريت لرحم

زوجته غريبة حقاً ففي وسط الصورة.. وحيث كان يفترض أن تظهر ملامح الجنين المعروفة.. لم يكن يبدو سوى كتلة ملتفة من اللحم دون أية أطراف أو معالم.. كانت الصورة - كما قدر الجميع- لمخلوق لم ير إنسان له مثيلاً على الإطلاق.. غير أن أحداً لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة في ذلك الموقف الرهيب..

وانقضت دقائق ثقيلة من الصمت كأنها دهر.. تماسك بعدها الزوج المجروح وقال موجها حديثه للطبيب:

- والعمل؟. أقصد.. ماذا تقترح أن نفعل الآن أيها الطبيب ؟.

- في الحقيقة.. أعتقد أن الأمر الوحيد الذي يمكن عمله الآن هو .. هو الإجهاض.

- ماذا؟.. الإجهاض..

- أعتقد أنه لا مفر من ذلك يا سيدي على الإطلاق.. ربما يكون ذلك مؤلماً بعض الشيء.. إلا أنني أظن أن الألم سيكون مضاعفا.. وطويلاً .. بعد ذلك إذا لم نتدارك الأمر الآن.. وأعتقد أنكم تفهمون تماماً ما أعنيه..

قالها الطبيب وهو ينظر إلى نظرات الزوجين التي تلاقت في حوار صامت قصير ولسان حالهما يقول: إننا نفهم تماماً ما تعنيه.. يا سيدي الطبيب..

ومرة أخرى.. ساد الصمت الثقيل أرجاء الغرفة.. لكنه كان في هذه المرة صمتاً له دوي هائل.. لم يقطعه غير كلمات الزوج الهادئة الرتيبة:

- حسناً.. حسناً .. سنفكر ملياً في هذا الأمر.. وأعتقد أن لدينا متسعاً من الوقت على كل حال.. شكراً.. السلام عليكم.

وخرج الزوج.. وزوجه التي لم تنطق بحرف واحد طوال الوقت تتكئ على ذراعه.. ونظر الطبيب قليلاً إلى الممرضتين اللتين شهدتا المشهد كله.. ثم أطرق برأسه.. وألقى بيديه في جيوب معطفه وغادر الغرفة هو الأخر .. فقد كان الموقف لا يحتمل أي كلام..

لم يصل الزوجان إلى البيت إلا وكان الزوج قد فكر ملياً وحسم الأمر.. وكان هذا علامة على عودة مؤشر قلب هذا الرجل الكبير للاستقرار على موجة الإيمان واليقين التي عهدها في نفسه.. وعهدها الناس فيه.. بعد تلك الهزة العنيفة..

ومع أول خطوة داخل المنزل قال:

-لقد انتهى الأمر.. والأمر لله من قبل ومن بعد على كل حال.. ثم أردف موضحاً حين رأى عيون زوجه الدامعة مليئة بالتساؤل والاستفهام:

- لقد نفخت الروح - والله أعلم - في هذا الجنين.. فأنت الآن في شهرك السادس.. والإجهاض معناه الآن قتل هذا المخلوق المسكين.. وهذا مالا نفعله على الإطلاق.. إن شاء الله..

كانت الكلمات تنساب من فمه بهدوء وطمأنينة غريبة.. ورغم أن تباشير دمعة حارة كانت تترقرق في عينيه إلا أنه مضى يقول :
- إن الله هو الذي ينفخ من روحه في هذا المخلوق.. وهو.. هو وحده الذي يحق له أن يأخذ ما أعطاه .. أما نحن.. فليس لنا من الأمر شىء.. غير الدعاء والرجاء.
واستسلمت الزوجة الحزينة أول الأمر.. ودونما إدراك منها لطبيعة ذلك الاستسلام.. هل كان قناعة منها بكلمات زوجها؟ أم كان رضى بالأمر الواقع؟.. أم أن الذهول الذي أصابها منذ اللحظة الأولى كان يلفها فى حناياها فلا تجد في نفسها قدرة على التفكير واتخاذ القرار؟..
والحقيقة أن هذا كان التفسير الحقيقي لموقفها بادىء الأمر.. إلا أن مشاعر اليقين والصبر والرجاء والتي كان زوجها يبثها - دائما - في كل مناسبة.. سرعان ما بدأت تتغلغل في أعماق فؤادها الكليم لتملأه شيئاً فشيئاً أمناً وطمأنينة وسكينة.. لم تستطع أن تفسره إلا أنه كان رحمة وعوناً من الله.
وبهذه المشاعر المفعمة بالتعلق بالله الواحد الأحد.. واجهت - أكثر من مرة - موقف بعض الممرضات اللواتي عرضن عليها - خفية ودون علم زوجها - ومن منطلق الإشفاق والرثاء! مساعدتها في التخلص من حملها العجيب . مرة بالأدوية والعقاقير.. وأخرى بالتعب والإرهاق.. وثالثة بطرق أخرى.. غير أنها كانت تتذكر في كل مرة كلمات زوجها عن الواهب.. الواهب الذي له وحده الحق في أخذ ما وهب.. فتقف.. بكل إصرار في وجه تلك المحاولات التي ظلت تتكرر حتى الأيام الأخيرة التي سبقت موعد ولادتها.. هذه الولادة التي كانت تترقبها جموع العاملين في المستشفى.. بعد أن طارت بقصتها الركبان.. داخل المستشفى وخارجه.. إلى أن جاء ذلك اليوم المشهود..
- أنا لا أصدق ما أرى!!.. الله أكبر .. الله أكبر.. ما أجمل هذه المولودة..
بهذه الكلمات الممزوجة بدموع الفرح.. كانت تصيح الطبيبة التي أشرفت على ولادة الأم المؤمنة الصبور.. وسرى الخبر سريان الكهرباء في أسلاكه بين جموع المرتقبين .. وكأن مساً أو عدوى أصابت الجميع ، فإذا دموع الفرح تنهمر من عيون خليط غريب غير متجانس من البشر.. ليغرق الجميع في موجة صاخبة من التهاني والفرح وهم يروون ما حدث:
- لقد كانت مولودة جميلة.. فيها شيء واحد غريب.. فقد كان شعرها طويلا مسدلاً .. ولما كانت متكورة على نفسها في رحم أمها.. فقد كان الشعر يغطي جسمها الصغير.. الأمر الذي أظهرها في الصورة على ذلك الشكل الغريب..
- وفى تلك الأثناء كان الزوج ساجداً في غرفة الانتظار.. كان قد سمع بالخبر وعلم بتفاصيله.. بل كان قد رأى الطفلة وانطلق بالآذان في أذنها الصغيرة.. وحنكها بشيء من التمر اتباعاً لسنة نبيه العظيم.. لكنه كان في تلك اللحظات

يهيم بقلبه وروحه بعيداً.. بعيداً عن كل هؤلاء الناس.. حتى أنه ما عاد يسمع شيئاً من كل ذلك الضجيج..
كان إحساسه كله يتركز في أن الأمر كله كان امتحاناً لصبره وإيمانه.. امتحاناً ليقينه .. وكان - وهو ساجد سجدة الشكر - يحس أنه بعون الله نجح في ذلك الامتحان.. وبدرجة الامتياز..

أدب وتاريخ

أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستانتية

د. السيد محمد الشاهد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله.
تتفق المصادر العربية والغربية على أن الـعـصـور الـوسـطـى المسيحية كانت امتداداً للعصور التي سبقتها من حيث احتكار الكنيسة لحق تسيير جميع شئون الحياة العامة والخاصة في الغرب ، كما تتفق على أن ذلك الوضع كان سبباً في ركود الـحـضــارة الـغربية التي بدأت عند اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ثم توارت آثارها بعد سيطرة الكـنـيـسة في الدولة الرومانية ابتداء من القرن الرابع الميلادي.
ويـطــلـق الـمـؤرخـــون على الفترة الواقعة بين القرن الرابع وحتى العاشر الميلاديين (عصر الظلام) كما يطلق بـعـض الـمـؤرخين المحدثين على الفترة التي تلتها أي العصور الوسطى (عصر الجهالة) كما يقول (ساذرن) في كتابه (نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى) ولديورانت في كتابه (قصة الحـضارة) انظر[ج 27 ، صفحة 114].
وقد عم ظلم رجال الكنيسة الـبـسـطــاء الذين كانت تفرض عليهم الضرائب الباهظة والتي كانت كثيراً ما تؤدي بهم إلى الاسترقــاق لخدمـة رجال الكنيسة سداداً لديونهم إلى جانب اعتمادهم المطلق على رجال الكنيسة فيما يتعلق بأمور دينهم لجهلهم بالكتاب المقدس الذي كان مكتوباً باللغة اللاتينية التي لا يعرفها سوى قلة نادرة.
أما الساسة فكانوا يعينون ويعزلون حـسـب رغـبـة رجال الكنيسة بسبب تعاطفهم مع أفراد الشعب البسطاء أو إهمال إرسال نصيب الكنيسة من الضرائب أو ما إلى ذلك.
أمــا الـعـلـمــاء فـكـانـوا يتهمون بالسحر والزندقة إذا قالوا بآراء علمية تخالف آراء رجال الكنيسة ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك إعدام جيرارد وبرونو (1600م) ، ومحاكمة جاليلو (1642م) حيث اضطر إلى الرجوع عن قوله بدوران الأرض إنقاذاً لحياته.

بـذلـك اتـسـعـت الـجـبهة المناوئة للكنيسة فضمت كثيراً من أفراد الشعب البسطاء وبعض الساسة ، وكثيراً من العلماء بالإضافة إلى بعض رجال الكنيسة الذين كانوا غير راضين عن هذا الظلم.
وفي تلك الفترة كان الإسلام قد عرف في الغرب ، خاصة بعد أن انتشرت أقسام تعليم اللغة العربية في معظم جـامـعـات أوربـا بـعـد مـوافـقـة الكنيسة على ذلك في عام1315م بغرض محاربة الإسلام ونشر النصرانية (التنصير) ، وقد كانت توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم منذ عام 1143 أنجزها أحد رجال الكنيسة يدعى روبرت الكينوتى ، وقد ظهر بعد ذلك بفترة وجيزة أول معجم عربي لاتيني. (انظر: تراث الإسلام شاخت وبوزوورث (1/ 9 3).
وبـذلك تـيـسـر للـغـربـيـيـن الاطلاع على إنتاج المسلمين الفكري بالإضافة إلى التعرف على الإســلام من مـصـادره، ففي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كان هناك عالم نصراني يجيد العربية ، ويحفظ القرآن الكريم ، وصحيحي البخاري ومسلم ، وكان يدعى (ريموند مارتيني) ، وقد حاول هذا الرجل معارضة القرآن بسورة ركيكة نسجها باللغة العربية على مـنـوال بـعـض آيــات القرآن ، ونص هذه السورة التي اخترعها لا يزال محفوظاً في بعض المصادر العلمية (انظر. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، قاسم السامرائي ، ص90).
مما سبق يتأكد لنا أن الإسلام كان معروفاً بشكل جيد في الغرب خاصة عند رجال الكنيسة المهتمين بالتنصير وكذلك بين مـعـظــم العلماء من غير رجال الكنيسة ، ولم تقتصر معرفة هؤلاء على كتب الـفـلـسـفــة الإســلامية أو العلوم الطبيعية كما هو شائع في مصادر تاريخ الفلسفة ولكن كانت كتب العقيدة الإســلامية وأولها القرآن الكريم ، وكتب السنة النبوية من أوائل ما اهتموا به وترجموه إلى لـغـتـهــم اللاتينية حيث سبقت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية كتب فلسفة ابن رشد التي يعزو إليها كثير من المؤرخين التأثير القوي للإسلام على الفكر الغربي ، وهذا الواقع يثبت خطأ ادعاء مفكري الغرب بأن أسلافهم في العصور الوسطى كانوا يهتمون فقط بترجمة كـتـب الـفـلـسفة اليونانية التي كان العرب قد نقلوها إلى العربية ، وقد فقدت أصولها اليونانية بعد ذلك ..
ويمكننا أيضاً أن نقول بأن الفلسفة والعلوم العربية الإســلامــيــة قـد أيقـظت وأثرت الفكر والعلوم الغربية بينما كان أثر العقيدة الإسلامية أبعد في إيقاظ الفكر الغربي بـشـكـل عــام، والفكر الديني بشكل خاص.
وقد كان لانتشار المعرفة بالإسلام عقيدة وفكراً ولغة بين العلماء والمهتمين بأمور الـديـن أن وجدت الكنيسة نفسها في مواجهة جبهتين: جبهة داخلية يمثلها بعض العلماء والحكام وكثير من أفراد الشعب البسطاء . وجبهة خارجية

يمثلها الإسلام والفكر الإسلامي عن طريق من تأثروا به وأعجبوا بمبادئه وقوة حجته.
ولم ينج بعض رجال الكنيسة من هذا التأثر والإعجاب ، فكانوا بذلك سنداً لمعارضي الكنيسة دون قصد في غالب الأحيان ، وكانت النتيجة الحتمية لازدياد طغيان الكنيسة وتشددها في محاربة كل ما من شأنه دفع عجلة التقدم والتحضر ومحاولة اللحاق بالحضارة الإسلامية أن انفجر صراع مرير بين الكنيسة ومعارضيها الذين حاولوا إصلاحها من الداخل دون جدوى فنشبت الحرب الشهيرة التي قادها (مارتن لوثر) عام 1521 م تقريباً واستمرت حوالي ثلاثين عاماً راح ضحيتها ملايين من البشر من النصارى أنصار الكنيسة والمعارضة وتعرف هذه الحرب بحرب الثلاثين عاماً أو حرب الفلاحين ، والتي أدت إلى انشطار الكنيسة الكاثولوكية إلى كنيستين: كاثولوكية وبروتستنتية (أي المعارضين) وتسمى أيضاً الكنيسة الانجيلية لأن مؤسسها (مارتن لوثر((ت 1546 م) كان أول من أمر بترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل: العهد القديم والعهد الجديد) إلى اللغات المحلية ، آنذاك ، وأولها اللغة الألمانية.
ولم تكن ثورة لوثر ولا معارضات سابقيه من رجال الكنيسة والعلماء خلال العصور الوسطى وعصر النهضة (أي من القرن الحادي عشر إلى السادس عشر الميلادي) نتيجة سوء الأوضاع الداخلية وفساد الكنيسة الاجتماعي والخلقي فحسب بل لابد من اعتبار سبب آخر يضاف إلى ذلك جعل توقيت هذا الانفجار يتأخر إلى القرن السادس عشر ولا يحدث مثلاً في عصور الآباء (عصر الظلام) حيث كان طغيان الكنيسة ومساؤها أكثر منه فيما تلا ذلك من قرون.
هذا السبب الآخر والأقوى في نظري ، هو انتشار المعرفة بالإسلام ، عقيدة وفكراً في الغرب ، فقد كان الإسلام هو المحرك للعقل الأوربي بعد أن أيقظه من سبات دام طوال عصور الظلام والعصور الوسطى ، كما يقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) [ص 527] ، أما مارتن لوثر فإنه من المأثور عنه أنه كان يعرف القرآن معرفة جيدة ، وله كتابات تهجم فيها عليه تدل على مدى اهتمامه بالقرآن وتأثره به (انظر مجلة عالم الكتب ، مجلد 6 ، العدد 4 / 1406هـ ، ص 555) ، وقد كان رجال الكنيسة المحافظون يتهمونه بأنه يريد أن يقيم مملكة -صلى الله عليه وسلم- بدلاً من مملكة عيسى عليه السلام ، ويستشهدون على ذلك بدخول بعض أنصاره في الدين الإسلامي . (انظر. الاستشراق: قاسم. السامرائي ، ص 25).
ويعتبر هذا دليلاً قوياً على انتشار الإسلام بين بعض معارضي الكنيسة وتأثر الكثير منهم به ، لأن مثل هذا الاتهام لا يمكن أن يأتي من فراغ.

أما الدليل الواضح على صحة ادعائي بتأثر مارتن لوثر وحركته الاصلاحية بالإسلام تأثراً قوياً فهو ما يجده القارئ واضحاً في مبادئ عقيدته الجديدة ، والتي يعتقدها نصف المسيحيين تقريباً ، أي عقيدة (البروتستنت) وأهم هذه المبادئ التي تعكس بوضوح أثر الإسلام فيها هي:

ا - منع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها.

2 - رفضه لوساطة رجل الكنيسة بين العبد وربه عند طلب المغفرة ، والصلاة على القديسين ، وعصمة الباباوات.

3-إيمانه بالقضاء والقدر مع مسؤولية الإنسان عن أفعاله.

4 -رفضه لعقيدة الذنب الموروث ، وإيمانه بأن رحمة الله تسع كل شيء.

5-اعتماده على العقل في فهم النصوص الدينية مع تفضيله الإيمان بالنص إذا تعارض مع العقل.

6 -اعتماده الكتاب المقدس الذي جاء به عيسى عليه السلام المصدر الوحيد للإيمان ، وليس ما صدر عن الباباوات.

7 - أمره بترجمة الكتاب المقدس إلى لغات أخرى متداولة (محلية) ، بعد أن كانت الكنيسة تحرم ذلك وتمنع الصلاة بلغة أخرى غير اللاتينية التي لم يكن يفهمها من يردد كلماتها من غير المتعلمين.

أضف إلى ذلك ما كان يقوله عن بابا الكنيسة: (إن المسيح الدجال الحقيقي في الواقع ليس محمداً بل البابا في روما.. وأن كنيسة روما هي كنيسة الشيطان ، وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه (ضد الباباوية التي أسسها الشيطان).

لقد ساعد لوثر مناوئي الكنيسة من العلماء ، بطريق غير مباشر ودون أن يقصد إلى حرمان الكنيسة من الإشراف على شؤون الحياة العامة ، إذ انفصلت السلطة السياسية والفكرية عن السلطة الدينية وظهر ما نسميه في اللغة العربية خطأ (بالعلمانية) ، وحقيقة المصطلح في أصله اللاتيني لابد أن يترجم إلى (العصرانية).

وقد كان لهجوم لوثر الكاسح على الكنيسة ، والذي أسفر عن شطرها إلى كنيستين ناصبت كل منهما الأخرى العداء ، كان ذلك بتأييد غير مباشر لما نادى به العلماء والسياسيون من فصل شؤونهم عن الكنيسة أي (عصرنة) الحياة العلمية والسياسية.

ولا يمكن في هذا المجال إهمال أثر الإسلام المباشر في نشأة الاتجاه العصراني في الغرب الذي بدأ في الظهور بعد الاحتكاك المباشر بالمسلمين وبالإسلام ، بدءاً من القرن التاسع الميلادي ، حيث ظهر هذا الأثر واضحاً في بعض الشخصيات العلمية المعروفة في الغرب آنذاك وبعده ، حيث يمكننا أن نفرق بين ثلاث مراحل للعصرانية.

1 - عصرانية علمية.

2 - عصرانية سياسية.
3 - عصرانية قانونية.
بدأت في القرن الحادي عشر واكتملت في القرن التاسع عشر بتأميم أملاك الكنيسة.
ويعتبر بطرس أبيلارد (1079-1142) من أوائل من نادوا باستقلال العلم عن الدين الكنسي ، الذي لم يجد فيه أي مساعدة أو تشجيع على تحصيل العلم ، بل وجد محاربة العلماء بشتى الطرق ، وكان أبيلارد ممن تأثروا بالفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية التي كانت قد انتشرت في أوربا عن طريق الترجمة خاصة في الأندلس ، وكانت معرفته بالإسلام سبباً مباشراً لوقوفه ضد رجال الكنيسة واتهامهم بالجهل حتى بالكتاب المقدس الذي تناوله هو بالنقد ، وألف كتاباً أسماه (نعم ولا) ناقش فيه كل ما جاء في الكتاب المقدس ، وأشار إلى التحريفات التي دخلت إليه ورفضها وأثبت خطأها ، حتى قيل: إنه كان يستغني بكتاب أبيلارد الموسوم ب (نعم ولا) عن الكتاب المقدس أو أنه قد أصبح (بالفعل) يغني عن دراسة الكتاب المقدس كما يقول (كولتون) (انظر: نشأة الجامعات في العصور الوسطى: جوزيف نسيم ، الاسكندرية , 1971م ، ص 99-103).
ولقد ظل هذا الاتجاه ينمو في أوربا طوال القرون التالية حتى ظهر روجر بيكون (ت1294م) وتلاه مارسيليو البادوفاني (ت1343م) ووليام الأوكامي (ت 1350 م) ونادوا جميعاً باستقلال العلم عن الكنيسة. (انظر: الاستشراق ، قاسم السامرائي ، ص 75 - 76 ، فلسفة العصور الوسطى ، عبد الرحمن بدوي ، ص79-84 , 166 ، 182 ، وما بعدها).
وقد زاد هذا الاتجاه وانتشر مع زيادة الإقبال على قراءة الإسلام والفكر الإسلامي واكتشاف البون الشاسع بين موقف الكنيسة المناوئ للعلم والعلماء ، وموقف الإسلام الذي يجعل تحصيل العلم عبادة وفرض على كل قادر ويرفع شأن العلماء حتى يجعلهم ورثة الأنبياء. ويبقى لنا سؤال في هذا المجال: لو افترضنا أن رجال الكنيسة كانوا قد استجابوا إلى ما نادى به العلماء والمفكرون وأصلحوا مساوئهم ، هل كان ذلك سوف يؤدي إلى إنهاء التيار أو الاتجاه العصراني المعادي لسلطة الكنيسة المطلقة؟.
الحقيقة أن هذا الاتجاه كان سيستمر رغم ذلك ، لأن الكتاب المقدس بغض النظر عن كونه محرفاً ، يخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو علمي.
هكذا نرى أن العصرانية كانت تطوراً طبيعياً للأوضاع الدينية والفكرية التي سادت أوربا في تلك الفترة ونتيجة منطقية للنقص الموجود في الكتاب المقدس وعدم صلاحيته لتسيير أمور الحياة العامة ، لخلوه من أي تصور سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي.. الخ ، وأهمية هذا الايضاح تكمن في كونها

رداً على من ينادي بتبني العصرانية في مجتمعنا الإسلامي تقليداً للغرب النصراني ، فإن كانت العصرانية قد ظهرت لتعوض نقصاً في الأناجيل من الناحية السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، فالإسلام قد جمع كل ذلك في تصور كامل يعجز العقل البشري عن محاكاته فضلاً عن أن يأتي بأفضل منه. والله من وراء القصد.

قراءات تاريخية

موسى بن نصير

عندما تولى موسى بن نصير أفـريـقـيــة والـمغرب كانت البلاد في قحط شديد ، فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين، وخرج بهم إلى الصحراء،ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها ، فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك إلـى منتصف النهار، ثم صلى، وخطب الناس، ولم يذكر الوليد ابن عبد الملك فقيل له:ألا تدعو لأمير المؤمنين؟ فقال: هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله عز وجل . فسقوا حتى رووا .

ابن خلكان - وفيات الأعيان 5/319

وذكرهم بأيام الله

كـــان القاضي منذر البلوطي إماماً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً أديباً، كثير الفضل، جـامـعــاً لصنوف الخير والتقوى والزهد، له وقع في النفوس وعليه حلاوة وطلاوة ، دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد بنى لـه فـيها قصر عظيم منيف، وقد زخرف بأنواع الدهانات وكسى الستور، وجـلـس عـنــده رؤوس دولـتـه وأمــراؤه ، فجاءه القاضي فجلس إلى جانبه ، وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء ويمدحونه ، والقاضي ساكت لا يتكلم فالتفت إليه الملك وقال: ما تقول أنت يا أبا الحكم؟ فبكى الـقـاضي وانحــدرت دمـوعه على لحيته فقال. ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة ، ولا أنك تمكنه من قيادك مع ما آتاك الله وفضلك بـه عـلـى كـثـيـر من الناس ، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. قال الله تعالى:((وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّــةً واحِــدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ ومَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * ولِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابــاً وسُــرُراً عَـلَـيْهَـا يَتَّكِئُونَ * وزُخْرُفاً ..)) [الزخرف:33]. قال: فوجم الملك عند ذلك وبكى وقال: جزاك الله خيراً ، وأكثر في المسلمين مثلك.

ابن كثير - البداية والنهاية 11/307

من فقه الدعوة

قائد.. وأمة

د. محمد محمد بدري

يتطلع كثير من الإسلاميين إلى السـمـاء مـبـتـهـلـيـن إلـى الله تعالى أن يرزقهم قائداً كصلاح الدين .. ويـرى الـكـثـيرون أنه لا ينقصنا إلا القيادة الحكيمة، وأن هذه الصحوة الإسلامية التي تملأ الآفاق لا ينقصها إلا القائد المتميز فقط !!

ولا شك أن هذه هي إحـدى طرقنا الخاطئة في التفكير والنظر وهي (النظرة الأحادية) .. فـنـحـن نـتـعـلـق دائماً بما يمكن أن نسميه (الرجل الوحيد) .. رجل أسطورة يغير واقعنا في لحـظـة ويتحول بنا من مؤخرة القافلة البشرية إلى قيادتها بضـربــة واحـــدة مـن عـصــاه السحرية؟!!. ولا ندري كم من السنين سوف نقضيها لندرك عجز الرجل الوحيد عن حل مشاكلنا وتغيير واقعنا؟!.

إن هذا الفهم الخاطئ لدور القائد والأمة في تحمل المسئوليات يضر بالقادة ويضر بالأفراد ، فعلى مستوى القادة ينمي فيهم هذا الفهم الفردي في التخطيط ويجعلهم يتصارعون مع كل من يحـاول الـمـشاركة في الرأي أو العمل ، وفي نفس الوقت فإن هؤلاء القادة لا يستطيعون عمل كل شيء بمـفـردهم فينتهي الأمر إلى الفشل والإحباط. ، ثم لنفرض أن لديهم إمكانية القيادة بمفردهم إلا أن هـــذا النوع من التفكير والعمل يسبب وأد القيادات الوسيطة . وأما على مستوى الأفراد فإن هــذا الفهم يطمس في عقولهم مفهوم المسئولية الجماعية ، ويشيع فيهم روح التواكل على القـيـادات وحدها .. فإذا دعاها الداعي إلى التضحية أجاب لسان حالها ((اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هـاهـنـا قاعـــدون)) ومهما كانت قسوة الهزيمة أمام عيونها فإنها تظل تنتظر حدوث الـمـعـجــــزة وظهور القائد المخلِّص!! بل وينفق الأفراد أوقاتهم في الحديث عن هويته وشخصيته؟!.

وغاب عن هؤلاء أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لم يقم بما قام به بمفرده ، ولم ينتصر وحده والناس يتواكلون لا يريدون بذل جهد ولا تقديم تضحية ، وإنما كان مع صلاح الدين رجال يعملون ويضحون..

وإذن ، فالاعتقاد بأن حاجتنا هي فقط لقائد مسلم ملهم أمر وفهم خطر وضار لأسباب كثيرة أولها وأهمها:

أنه يصطدم بالقوانين القرآنية التي تقرر أن التغيير إلى الأفضل أو الأسوأ لا يحدث إلا إذا سبقه تغيير جماعي يقوم به (القوم) (الأفراد) لما بالأنفس من مفاهيم واتجاهات.. قال عز وجل:((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)).

فالآية كما نرى تربط التغيير بتغيير ما (بقوم) (جماعة) (أمة) ، وليست فرد واحد .. (أمة بالمصطلح الإسلامي) لكلمة (أمة).. وهي الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة ، وتتجمع على أصولها وتدين لقيادة قائمة على تلك العقيدة.
وإذن فوجود القائد ليس هو كل القضية وإنما هو شطر القضية ، وشطرها الآخر هو وجود (الأمة)، ولابد من شروط في القيادة وشروط في الأفراد أو (الأمة) والتفاعل بين الجانبين والانسجام بينهما .. فأمر القيادة منوط بتلك (الصفوة) المؤمنة من العلماء المخلصين والقادة القادرين ، - وهي العناصر ذات الخبرة والوعي الشمولي والتي تتوفر فيها ملامح العمل القيادي- والتي تستطيع العمل في مستوى قيادي أدنى من القيادة الرئيسية حتى لا يكون هناك ثغرات أثناء العمل.. بالإضافة إلى أن إعدادهم يهيئهم ويؤهلهم لاستلام القيادة مستقبلاً ، وهؤلاء هم الذين يشكلون الحلقات القيادية الوسيطة التي تسد الفجوة بين القاعدة العريضة من الجماهير المسلمة ، وبين القيادة وهى التي عبرها تتم عملية (بعث الأمة) بدعوة التوحيد بمفهومه السلفي الواضح على ما كان عليه القرون الثلاثة الأولى قبل تشعب الأهواء واختلاط العقائد.
وكأني برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقضى ثلاثة عشر عاماً يربي هذه الفئة ، ويصنع الرجال ، ويدرب القادة لتحمل مسئولية نشر دعوة الحق بعده -صلى الله عليه وسلم- ، لقد كان-صلى الله عليه وسلم- يصنع رجالاً يحملون هذه العقيدة فكراً وشعوراً وممارسة ، ويربي (أمة) تتلقى أمر الله فيغدو لديها فعلاً وتطبيقاً ويتحول إلى وقائع وأحداث ، فلابد أن يلتزم الدعاة إلى الله الآن هذه الخطوة... ولنذكر دائماً أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو المؤيد من ربه عز وجل مكث بمكة - كما يروي ابن كثير- يتبع الناس في منازلهم.. عكاظ والمجنة.. وفى المواسم يقول: »من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة«.
ولنذكره -صلى الله عليه وسلم- وهو يهتف بربه عز وجل يوم بدر »اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض«.. فهذه حقيقة يجب على الدعاة اليوم أن يقفوا أمامها كثيراً ، إن الدعوة لابد لها من (صفوة) تحملها و (أمة) تحميها..
(أمة) تحمل هذا الدين ، وتهدي به وتحاول أن تقول: ((وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ)). (أمة) قال الله عنها: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) ، (أمة) رعيلها الأول أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وإخوانهم الكرام ، (أمة) تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع.. الجنسية فيها للعقيدة ، والوطن فيها دار الإسلام ، والحاكم فيها هو الله ، والدستور فيها هو القرآن.
وهذه (الأمة) تتواصل حضارياً مع كل جماعة تعمل من أجل الحق: »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق« ووجود هذه الجماعة وتلك (الأمة)

ضرورة كوجود (القائد) ونصر الله الذي تحرزه هذه (الأمة) لا يتم بثبات فرد بل لابد من ثبات عدد معين ، قال تعالى: ((إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)) ، بل إن الله عز وجل يخبر أن الفقه بسنن الله في التغيير يؤثر في نتيجة المعركة مع الكافرين.. قال الله تعالى: ((وإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ)) . ، وهذا يلفت النظر إلى خطورة أن يبقى في الأمة من لا يتمتعون بالوعي والفقه لسنن الله في التغيير.. تلك السنن التي تربط التغيير بتغيير (القوم) و (الأمة) وليس فرد واحد ، وإدراك ضرر وجود غير الواعين في الأمة لابد أن يولد لدينا شعوراً بالخطر أن يكون المركب الذي يحمل الحركة الإسلامية يحتوي نماذج من الأفراد لا يعرفون سنن طفو الأجسام على الماء فيسعون بحسن نية لخرق السفينة كما ورد في الحديث.

وإذن فلابد من بعث (الأمة) لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى.. وإنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن عودة (الأمة المسلمة) إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها أول مرة ، فحين ولدت هذه (الأمة) كان ذلك الميلاد صادراً عن عقيدة واضحة قوية ولسان يستمد من القرآن وسحره وتأثيره وهذا هو الطريق اليوم .. تصحيح مفهوم العقيدة وتخليصها مما شابها من علوم الكلام والإرجاء وتجليتها ناصعة واضحة ، ودعوة الناس إلى أن يقيموا حياتهم على قاعدة الإسلام الأولى وهى (تصديق خبر الرسول جملة وعلى الغيب والتزام شرائعه جملة وعلى الغيب) وبناء عليه وضع قضية الشريعة موضعها الصحيح في أصول الاعتقاد وتجريد مفاهيم الإسلام من التلبس بغيرها من المفاهيم الغريبة عليه.

ثم الانطلاق بهذا المفهوم انطلاقاً جاداً يتربى خلاله الأفراد على الأخلاق الإسلامية ويدرسون الحركة الإسلامية وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التي كانت في طريقه ولا تزال تتزايد بشدة ، وبخاصة من المعسكرات الصهيونية والصليبية.

فإذا وصل الأفراد إلى ذلك المستوى من الخلق والفهم فقد تكون لدينا جيل (الصفوة) الذين على أكتافهم تقع مسئولية تكوين وتربية الدعاة الصادقين الذين عبرهم يتم بعث الأمة وإحيائها من جديد...

وختاماً نؤكد أننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة من براثن الجاهلية إلا بالعمل الشاق وتربية جيل مسلم و (أمة) مسلمة وعندما نحقق ذلك نكون قد انتصرنا على الجاهلية من حولنا وشرعنا في بناء حياة جديدة إذ بدأنا عملنا بجهود جماعة و (أمة) وليس جهد فرد واحد (قائد)..

بأقلام القراء

الحرف الرديء . يسقط

من مساهمات القراء ننشر هذه القصيدة للقارئ الكريم الأخ صالح العليان - كندا:

لتكسر الأقلام..
ثم تمزق الأوراق..
والأيدي التي لم تنصف المظلوم..
بل لحقت سراب الفخر..
تطلبه ولو أدى إلى وأد الحقوق..
لتخسأ الكلمات إن صبغت
بأفكار من يخور كعجل فيه مس من جنون..
أعماه تطبيل ينادي أين أصحاب الفنون؟
ليكون فذاً.. قائداً.. حسن الظنون..
هل يدركون.. أولئك الداعون..
ماذا ينطقون؟
أفكاركم قد انتنت..
والدود أتلف لبها..
لكن تنكره العيون..
ماذا استفاد الشعب من فكر ينادى بالمجون..
قولوا انتصرنا..
والعدو توسعت أملاكه..
وتعددت ثكناته..
قولوا استحال الجوع..
والأحياء ما بقيت لهم غير الضلوع
والعجز والأمراض صارت قاضياً..
كم تكذبون!!
زالت غشاوات.. فأبصرت العيون ..
لترى الحروف تمجُّ ناراً..
إنها ما تكتبون..
أثوابكم قد رقعت..
وتعدد الصناع..
أمر يبعث الإضحاك في سن الوليد..
من كان فيه قطرة من عزة..
تأبى عليه بأن يميد..
نهج النبي محمد..
حل لأهوال العبيد..

هذي الشعوب قد اقسمت:
غير الشريعة لا تريد..

الصفحة الأخيرة

التقليد من الوجهة النفسية

إن الله تعالى جبل بني آدم ، بل سائر المخلوقات ، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين. وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم . حـتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط . ولـمـا كـان بـيـن الإنـسـان مشاركة في الجنس الخاص: كان التفاعل فيه أشد. ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة فـي الجـنـس المتوسط فلابد من نوع تفاعل بقدره. ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مـثــلاً ، فلابد من نوع من المفاعلة.

ولأجــل هـــذا الأصل: وقع التأثر والتأثير في بني آدم ، واكتساب بعضهم أخلاق بـعـض بالمشاركة والمعاشرة. وكذلك الأدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه ، ولهذا صارت الخـيـلاء والفـخـر فـي أهــل الإبل ، وصارت السكينة في أهل الغنم ، وصار الجمالون والبغالون فيهم أخلاق مذمومة مــن أخــلاق الجمال والبغال ، وكذلك الكلابون، وصـار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الإنس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النُّفرة .

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة ؛ توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطـنـة عـلـى وجه المسارقة والتدرج الخفي.

وقـد رأيــنـا الـيـهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا من غيرهم ، كما رأينا الـمـسـلـمـين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرّد الإسلام.

و المشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً ، وإن بعد المكان والزمان ، فهذا أيضاً أمر محسوس.

فـمـشـابـهـتـم فـي أعـيـادهم ولو بالقليل؛ هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط علق الحكم به، ودار التحريم عليه.

فـنـقــول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بـل فـي نـفـس الاعـتـقـادات. وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط . ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط ، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله لو تفطن له. وكل ما كان سبباً إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه ، كما دلت عليه الأصول المقررة.

اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ، ص 220

تمت بعون الله والحمد لله